ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1110 - الجمعة 28 صفر 1426 هـ - الموافق 8 أبريل 2005

الفراغ في حياة المؤمن

الصحراء المغربية وثوابت القيم الوطنية (3)

- وفي 08/10/1904م عقدت معاهدة بين فرنسا وإسبانيا على أن تتولى إسبانيا منطقة الريف في الشمال ومنطقة الجنوب ولم تنفذ هذه المعاهدة إلا بعد عقد معاهدة مدريد 27/11/1912م التي تمت فيها مقايضات بين فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا وتنازلت فيها إسبانيا عن بعض التراب المغربي لفرنسا، وقد نفذ الاتفاق الفرنسي الإسباني على تقسيم المغرب بعد فرض الحماية: 30/03/1912م.

- بمقتضى عقد الحماية وقع الاتفاق بين المغاربة والإسبان والفرنسيين على أن يكون للملك خليفة في مناطق النفوذ الإسباني، ففي يوم 14/05/1913م عين الأمير مولاي المهدي بن اسماعيل بظهير سلطاني خليفة للسلطان بمناطق النفوذ الإسباني، وعين الخليفة السلطاني نائبا له في الجنوب بظهير خليفي مؤرخ بتاريخ: 22/12/1917م، ولما تم الاستعمار الإسباني بسط النفوذ على الأقاليم الجنوبية جدد خليفة السلطان مولاي الحسن بن المهدي ظهير والده لنائب الخليفة السلطاني على المناطق الجنوبية الصحراوية بتاريخ 01/10/1934م.

فموقف الساكنة الرافض لوجود أي أجنبي إلا بإذن من السلطان، والمعارك التي خاضها الأهالي بكل شجاعة لصد الغزو الفرنسي الزاحف على جنوب المغرب وشماله، وما قام به السكان من تضحيات لجزر المد الاستعماري قبل هذا التاريخ وبعده، كل ذلك ناتج عن وفاء أبناء الصحراء المغربية للبيعة التي تربطهم بالعرش العلوي المجيد وبالجالس عليه، ولم تتوقف تلك المعارك المشروعة في وجه الغزاة المتسلطين حتى سنة 1934م.

إن وفاء ساكنة الصحراء المغربية للبيعة الشرعية التي يتحلون بها ويلتزمون بما تنص عليه بنودها هو الذي جعلهم يتصدون وبكل إخلاص لمحاولات التسلل الإسباني للصحراء المغربية منذ سنة 1476م حتى 1912م تاريخ انعقاد الحماية وبعده حتى 1934م.

وتحصي لنا كتب التاريخ عدد تسللات إسبانيا لشواطئ الجنوب المغربي - أي الصحراء المغربية - أنها ثلاثون محاولة تقريبا، تضمنها عرضي الذي بين أيديكم وذكرت تاريخ كل محاولة ومكانها مع الإشارة إلى ما جرى فيها باختصار شديد أرغمني عليه ضيق الوقت.

وكل هذه المحاولات المذكور عددها، المتغايرة في شكلها، المتباعدة في تواريخها، والمتحدة في جوهرها، كان قصد إسبانيا منها هو وضع قدمها على الشواطئ المغربية لاستعمار أهاليها واستنزاف خيرات المغرب، وتمزيق وحدته، إلا أن وفاء الساكنة للبيعة التي في أعناق الجميع للعرش العلوي المجيد لم يترك لها مجالا حتى تنفذ خطتها في كل المحاولات الآنفة الذكر، ولم يستقر قرار لإسبانيا في الصحراء المغربية بفضل مواجهة الأهالي لها وصمودهم في وجهها إخلاصا منهم للبيعة حتى سنة 1934م، هذا بالنسبة للمحاولات الإسبانية قبل الحماية.

وفي سنة 1879م تسلل الانجليزي ماكنزي لطرفاية فتصدى المغرب لهذا التصرف الظالم الذي رفضه سكان الصحراء الأشاوس وفاء منهم للبيعة حتى رضخت بريطانيا لتوقيع معاهدة مراكش الشهيرة بتاريخ 19/03/1895م التي بمقتضاها أرجعت طرفاية من الأنجليز، ومن أراد معرفة تفاصيل تسليم طرفاية من يد الأنجليز فليرجع إلى رحلة العلمي المكناسي الميقاتي الذي كان من أبرز رجالات البعثة الملكية التي تسلمت طرفاية.

إن من اهتم بدارسة تاريخ المملكة المغربية، وتاريخ أبناء الجنوب منها بصفة خاصة، يجد أنهم التزموا الوفاء لواجب البيعة قولا وعملا، فإذا تتبع المهتم ما قام به الساكنة من مواجهة لكل من يريد إبعادهم عن التحامهم العضوي بوطنهم يجد أنهم لم يتركوا لأي مفرق فرصة تمكنه من تحقيق رغبته في تمزيق وحدتنا المقدسة على مر تاريخ الصحراء المغربية...

ولقد لعبت المدارس الصحراوية المغربية دورا طلائعيا في نشر الثقافة المغربية الأصيلة التي لم ينضب معينها الفياض، والتي ساهمت في تلاحمنا فكرا وثقافة... وهذا ما أكده السيد عباس الجراري حول موضوع: ثقافة الصحراء بقوله: (إن عمق الوحدة الوطنية تؤكده وحدة التوجه في الدين والمذهب سواء في الفكر أو التصوف، وهذه العناصر نجدها متداولة عند علماء الصحراء وعند رجال الفقه والعقيدة) وتابع قائلا: (إن جانبا مهما في هذا الارتباط يكمن في التصوف الطرقي مشيرا إلى بعض الزوايا التي أقيمت والتي كان لها امتداد في الشمال كالزاوية البكارية، والزاوية الفاضلية، والزاوية التيجانية) إلى غير ذلك من العناصر الكثيرة التي تؤكد رابطة الوحدة القوية التي بقيت صامدة أمام التيارات العنيفة التي تستهدف تشرذم هذا الوطن الغالي أرضا وبشرا، فظلت رابطة البيعة التي تحصنها العقيدة الإسلامية ويقويها الإيمان الراسخ جامعة وموحدة لكل المغاربة، صامدة في وجه كل محاولة يراد منها تشتيت أمتنا وتفريق وحدتنا، قال عليه الصلاة والسلام: (من بايع إماما فأعطاه صفة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر)، وقال عليه الصلاة والسلام: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثروا، قالوا فما تأمرنا؟ قال: فوا بيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم).

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

أسرار التكرار في القرآن

عالمات اشتهرن بالفقه السلفية والأسلاف

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-14-

مازلنا في مسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته النبوية وهي الحجة الأولى والأخيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبها ودع مكة المكرمة التي بعثه الله بها ونزل أول القرآن عليه فيها، وفتح الله أبواب السماء فوقها لآخر رسالة موجهة إلى البشر من الله عز وجل على يد رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وعندما عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة في السنة العاشرة للهجرة لأداء مناسك الحج وتبليغ التوجيهات الإسلامية بشأن الحج للمسلمين كافة، ولم تكن لتصل بذلك الوضوح واليسر والسهولة في التطبيق لولا قيام رسول أن صلى الله عليه وسلم بأداء الحج بنفسه ومعه جمع من المسلمين يتجاوز المائة ألف وهو يخطب فيهم ويعظهم ويخبرهم ويعملهم ويرشدهم إلى ما يفرض عليهم ومايحبب ومايندب ومايجوز ومايمنع خلال التلبس بمناسك الحج، حتى يتم أداء الحج لله وكما فرضه الله عز وجل، وقد أشرنا في الأعداد الماضية من صفحات هذه الجريدة إلى مجموعة من الخطب ألقاها رسول الله صلى عليه وسلم على الناس ويمكن اعتبار كل حديث منه صلى الله عليه وسلم في هذه المناسبة خطبة بذاتها، إلا أن احدى خطبه صلى الله عليه وسلم يوم عرفة قبل صلاة الظهر والعصر، كانت متميزة وبقيت تنفذ على المسلمين منذ ذلك التاريخ إلى اليوم وإلى كل يوم عرفة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

وإذا كان عدد الحجاج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتجاوز المائة وأربعين ألف حاج فإنه في زمننا هذا - بعد ألف وأربعمائة وخمسة عشر عاما على حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم - صار عدد الحجاج يصل إلى المليونين ونصف.

فيملأون أرض عرفات من شرقها إلى غربها، ولايتانسى للجميع الاستماع إلى خطبة الصلاة بمسجد نمرة، ويقوم الحجاج في خيام إقامتهم بأداء صلاة للظهر والعصر جمعا وقصرا، مع إمام يقدمونه لذلك، بخطبة أحيانا وبدونها في أغلب الخيام، ونعود إلى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة، وهي الخطبة التي تحدث عنها كثير من الرواة للحديث ولسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت منقوشة على صفحات المؤلفات بحروف من ذهب تعط فقراتها إشعاعات نبوية خالدة في التربية والتوجيه الإسلامي للمؤمنين كافة في شؤون حياتهم الاجتماعية العامة

١- في نظام العلاقات الاجتماعية: حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سفك الدماء والأموال لأي سبب كان، وكانت أول جملة نطق بها تخص ذلك وهو كان يعلم حالة المجتمعات العربية ومافيها من طباع للجاهلية بالمبينة على حكم الأقوياء للضعفاء، واعتبار الحق في الحياة الكريمة أمر مخصص لقبيلة أو طائفة أو شريحة اجتماعية متميزة فأقر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق في الحياة لكل الناس دون تمييز عرقي أو طائفي أو مذهبي أو قبلي أو جهوي، وهو بإقراره هذا سبق أعلام الشرق والغرب في إقرار الحق في حياة الكريمة بمآت السنين. وسيبقى هذا القرار الأول في خطبة حجة الوداع ناصع البياض في التاريخ الإسلامي والتوجيه النبوي للإنسانية جمعاء، فلنقرأ هذه الكلمات الأولى في الخطاب النبوي إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، وفي بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة وأن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل.

رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها وأعلى للناس الحق في الحياة وحماية الناس في أموالهم وأرواحهم أعطى مثالا واقعيا من الحياة الاجتماعية العربية بإنهاء قضية دم ابن ربيعة بن الحارث الذي قتلته قبيلة هذيل، وكانت قبيلة الضحية تنتظر الوقت المناسب للأخذ بالثأر ورد الاعتبار للمعتدى عليه، فأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلغاء هذا الملف، وبطبيعة الحال فإن للشريعة الإسلامية أصولا وقواعد تطبق على القاتل حسب وسائل الاثبات المقررة شرعا، وتطبيقها لايحول بينها وبينه أمر خاص.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان توجيهه يتعلق بقضية مخصوصة فإن أمره عام إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم مع المساواة الكاملة في هذه الحماية.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

عالمات جليلات اشتهرن بالفقه والتضلع فيه

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

الحلقة الرابعة

المريدة الذاكرة الحافظة لكتاب الله عائشة المنوبية

■ هي إحدى السيدات المتبتلات الزهدات، نشأت في بيت علم وتقى، وتلقت تربيتها من أمها الفاضلة السيد فاطمة بنت عبيد السميع المنوبي، من قرية منوبة بتونس، ومن والدها الشيخ أبي موسى عمران بن الحاج سليمان، وقد اعتنى والدها بتعليمها عناية فائقة، وهو شيخها في حفظ القرآن الكريم، فاتقنت حفظه وتجويده وتلاوته، وكانت لاتكف عن دراسته والتعبد به، وجاء في مناقبها أنها ختمت القرآن المجيد في حياتها ألفا وخمسمائة وعشرين مرة.

وفي بداية شبابها ظهرت عليها ملامح التقوى والزهد والصلاح، ورفضت الخطاب، وحاول أبوها تزويجها من أحد أقاربيها فامتنعت، وقيل إنها تزوجت بعد ذلك، انقطعت لدراسة القرآن وعلومه وللعبادة، وكان موردها من غزل الصوف وإذا فضل عن ضرورياتها درهم تصدقت به، وروي عنها أنها إذا بات عندها درهم لم تتصدق به تقول: "الليلة عبادتي ناقصة" لقد كانت رحمها الله عطوفة على المحتاجين والمساكين، وترى أنه من الواجب عليها إشراكهم في كسبها المتواضع من غزل الصوف، وفي وقتها كان ظهور الشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي سكن قرية شاذلة بتونس ونسب إليها، وكثر مريدوه بها، قبل أن ينتقل إلى الاسكندرية بمصر، وكان مذهبه في التصوف السني صادف إقبالا كبيرا في القطر التونسي، وزاد انتشاره أكثر عند ما استقر بمصر، وكانت عائشة المنوبية من مريداته الصادقات، ولها معه أخبار مذكورة، وأحاديث مشهورة، رواها مريدو الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله.

وشاع بين الناس خبر صلاح هذه السيدة العابدة الزاهدة المتبتلة فنالت احتراما، وذكرا طيبا، ومحبة في قلوب مواطنيها، وتعظيما عند الجميع وامتد بها العمر، وظلت ملتزمة بأورادها، وتلاوة القرآن الكريم، والتهجد به ليلا ونهارا، مخلصة في عبادة ربها، وعرفت بين الخاص والعام بذلك إلى أن توفيت رحمها الله سنة:665هـ بعد شيخها أبي الحسن الشاذلي بتسع سنوات حيث توفي رحمه الله بصحراء عيذاب وهو في طريقه إلى الحج سنة:656هـ.

وآخر كلامها عند احتضارها قول الله تعالى: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" (آخر آية في سورة النحل)

فهي رحمها الله نطقت وهي مقبلة على ربها الكريم بما التزمت به طول حياتها من تقوى الله عز وجل، والإحسان إلى الخلق، والكسب من عمل يدها، وهذا ما كان يدعو إليه شيخها أبو الحسن الشاذلي رحمه الله، وكان يقول: "إن المريد البطال لا مكان له عندنا" ومما كان يحث عليه مريديه الإنفاق من الكسب الحلال، وهي قبل ذلك وبعد تعمل بمقتضى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخلق عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله" رواه الطبراني في المعجم، وأبو يعلى في المسند.

وهذا يذكرنا بما روي عن أبي الحسن الشاذلي وهو يفسر قول الله تعالى بالمسجد الأعظم بالاسكندرية: إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، إلا المصلين، الذين هم على صلاتهم دائمون، والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم، والذين يصدقون بيوم الدين، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون، إن عذاب ربهم غير مأمون سورة (المعارج/الآيات 28.19)وفي درس تفسيره لهذه الآيات الكريمات استمع له جماعة من علماء الأزهز، وفيهم العز ابن عبد السلام، وهو يفسر: "إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون"ويفسر: الهلع، والجزع، والشح، والبخل عند اليسر والغنى، وأن المصلي حقيقة هو الذي لايتصف بالصفات المذكورة قبل الاستثناء، ويذكر الرقائق والشواهد التي يحلل بها النفس البشرية، وما انطبعت عليه من الهلع والجزع، والإمساك وحب النفس... فلما انصرفوا قال أحدهم لابن عبد السلام: ماتقول فيما استمعت إليه من كلام الشيخ؟ فأجاب: إن هذا الكلام قريب العهد من الله".

فالسيدة عائشة المنوبية استفادت من شيخها أبي الحسن الشاذلي، وصفت نفسها، وجاهدت بواعث النفس اللئيمة، ونوازعها الدنيئة، فأحبت الناس، وأحبوها، وشيعت جنازتها في محفل مشهود، حضره العلماء، والأمراء، والوجهاء، والصلحاء... على عهد السلطان المستنصر بالله بن أبي زكرياء الحفصي، تقديرا لمكانتها في نفوسهم، ولما كانت عليه من التقوى والصلاح، ولما عرف عنها من الزهد وصدق العبادة، وملازمتها لتلاوة القرآن الكريم المجيد، الذي جعلت منه أنيسها في الوحدة، ووسيلتها للقرب من ربها عز وجل، لتحظى عنده بالنعيم المقيم في دار الخلود، وبذلك أصبحت نموذجا فريدا للسيدات العابدات الصالحات، ومثلا رائعا للمؤمنات الصادقات، رحمها الله ورضي عنها.

(تتمة ص1)

2 وفي الحياة الاقتصادية والتجارية كان العرف جاريا على تحديد مبلغ معين من الفائدة الربوية عند كل تعامل تجاري أو مدني يبقى فيه أحد الطرفين مدينا للآخر، فكان التأخر في الوفاء بالالتزام يبيح زيادة مبلغ على أصل الدين يكبر مع استمرارالتأخير حتى يتضاعف الدين، ويصبح المدين تحت رحمة الدائن حتى يبلغ الحال إلى استرقاقة وبيعه عبدا.

ولعل العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له ثروة كبيرة، وكان بنكه المالي مشهورا عند العرب للتعامل معه وأساس التعامل الفائدة الربوية فأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المناسبة الفريدة في التاريخ الإسلامي، "إن ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله".

فبهذا التوجيه النبوي في هذه المناسبة وفي وقت له خصوصيته، وفي مكان له حرمته، وفي يوم له اعتبار خاص في السلوك الديني للمسلم، وبإعطائه صلى الله عليه وسلم المثال الحيالواقع بتطبيقه هذا التوجيه على أقرب الناس إليه عمه العباس بن عبد المطلب يبين أن خطابه (ﷺ) شامل لكل الناس وتنفيذ أحكامه جار على الجميع بدون استثناء، وكان على حق في الميدان عندما ألغى مبدإ عدم رجعية الأحكام الشرعية على التعامل السابق، فالفائدة الربوية ملغاة على كل الالتزامات المالية السابقة على الخطاب بطبيعة الحال وعلى مايستقبل من التعاملات الاقتصادية بين الناس.

3 التوجيه الثالث في الخطاب النبوي كان يخص الأسرة وموقع المرأة فيها وهي زوجة ومصدر تلك الأسرة ونافذة حياتها، وبدون حواء ما كان للحياة الإنسانية أن توجد على الأرض، الرجل الأول خلقه الله من التراب، ولكن المرأة الأولى لم تخلق من التراب ولكن خلقت من الرجل لتبقى لها مكانتها معه، معه كجزء منه لاكشيء آخر في الحياة، ونوع تعامل الرجل مع المرأة يكون الرؤية الحقيقية لنوع تربيته وسلوكه، ونتذكر في هذه اللحظة قولة الرسول صلى الله عليه وسلم "لايكرمهن إلا كريم".

وبما أن المرأة عنصر هام في الحياة فهي أم الأنبياء والرسل، وقد أعطت المثال في الحياة الإنسانية للإنجاب بدون رجل عندما يختارها الله لذلك، ومثال ذلك مريم ابنة عمران أم سيدنا عسى عليه السلام التي أحصنت نفسها وكانت من القانتين وأعطت نبيا كانت له خصوصيته في الحياة الدينية هو سيدنا عيسى عليه السلام ولهذا كان الخطاب النبوي في يوم عرفة له دلالة خاصة في حياة المرأة، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال بتقوى الله في التعامل مع المرأة، لأن الرجل عندما يتعاقد مع المرأة على الشروع في بناء الأسرة يكون ذلك مبينا على أمان الله وعلى كلمته، ويوجد بين الجانبين عقد إلاهي يحدد التزامات وحقوق الطرفين في الحياة الزوجية على كل طرف أن يتقيد بها، وعلى الزوج تأمين المأكل والملبس والمسكن في حدود المعروف بين الناس من أمثال الطرفين فلا تجاوز ولا خلل.

وتعتبر الكلمات التي خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة والرجل في الخطاب الخاص يوم عرفة تاسع ذي الحجة في وقفة أمام عشرات الآلاف من المسلمين المتلبسين بحالة الاحرام والموجودين في حالة طهارة تامة وعلى استعداد للصلاة رجالا ونساء في أرض خصها الله بميزات لاتوجد في غيرها، وفي زمن خصه الله بحالات لاتتوفر في غيره، إنه جبل عرفة ويوم عرفة، والله عز وجل ينزل الرحمات على عباده المجتمعين هناك جاءوا على موعد واحد بلباس واحد وبذكر واحد، وبحالة واحدة للطهر والعفاف والمحبة والصفاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معهم.

4 ويلخص رسول الله صلى الله عليه وسلم المنهج الذي على المسلم أن يتمسك به ليفوز في الدارين، إنه كتاب الله عز وجل، ففيه قانون السلوك، وفيه شريعة العمل وفيه حقوق الإنسان وواجباته، وفيه مايحبب القيام به، ومايمنع، ومايجوز في كل أنواع الحياة البشرية الفردية والجماعية، ويلخص هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمات "وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده أبدا إن اعتصمتم به كتاب الله" إن الحياة مع كتاب الله عز وجل تكفي الإنسان كل الحاجيات فلا يتوقف على شيء آخر، ففيه كل ما هو نافع للحياة فيحث على اتباعه، وما هو ضار بالحياة يأمر باجتنابه، والسير مع توجيهاته فيه أمن وأمان للفرد والجماعة وللأمة والدولة، إنه كتاب الله وليس شيئا آخر غيره.

5 وفي ختام الخطاب يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم السؤال للمؤمنين ليتركهم في التوجيه، ويجعلهم متفاعلين معه، قائلا لهم "إنكم ستسألون عني فما أنتم قائلون؟" وكان للسؤال أهمية كبيرة لمعرفة مدى التجاوب والاستعداد للتنفيذ في الحياة العملية، والعدد الكبير من الناس رجالا ونساء يمثل الأمة الإسلامية في ذلك الوقت فأغلب المسلمين؟ في الأرض يوجدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته، فماذا كان جواب المستمعين، لم يقولوا: سمعنا فقط أو وصلنا الخطاب، أو سنعمل على التنفيذ، ولكنهم كانوا أبعد من ذلك هدفا وغاية، إنهم يخاطبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد لايتيسر لهم ذلك في مناسبة أخرى وهم جاءوا من مدن وقرى متعددة ومتباعدة، وقد كان جوابهم في مستوى الخطاب "إننا نشهد الله أنك بلغت وأديت ونصحت" إنه جواب ارتقى إلى السماء مثل الخطاب ليكون الله عز وجل شاهدا معهم على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة القرآنية التي حمله الله عز وجل بها وكلفه بنشرها بين الناس ليسيروا على الصراط المستقيم، والله عز وجل يأمره في قوله تعالى "إن عليك إلا البلاغ" كما في الآية 48 من سورة الشورى، والصحابة يشهدون الله عز وجل في ساحة عرفات يوم عرفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة، ويزيدون على ذلك أنه مع البلاغ كان "الأداء" والأداء فيه معنى أكثر من البلاغ، فإذا كان البلاغ خطابا شفويا ونقلا للرسالة من طرف إلى آخر، فإن الأداء تبليغ عملي وفعلي وسلوكي للتوجيه الإلاهي، فلم يكن نقل الخطاب الديني من الله عز وجل للناس مجرد كلام انتقل من مخاطب إلى مستمع ولكنه كان أداءا فعليا ليمتزج بالقلب وبالسلوك وبالتعامل اليومي مع الله ومع الناس كافة، فالشريعة الإسلامية نظام للحياة والتعايش بين الأفراد والأمم لما فيه الخير والمصلحة للبلاد والعباد، وهو ماشهد به المستمعون للخطاب النبوي بعرفات وأشهدوا الله على شهادتهم ثم يأتي هؤلاء بكلمة أخرى لأداء معنى ثالثا فيقولون: "ونصحت".

والنصيحة تبليغ وأداء مع إخلاص كامل في نقل التوجيه الديني والخطاب الإسلامي، وعلامات الاخلاص تظهر في التنفيذ، فإذا كان المبلغ والمؤدي للحكم والأمر والنهي أول المنفذين له والمطبقين لمضمونه كان ذلك دليلا على الإخلاص في التبليغ لأن التنفيذ الفعلي للتوجيه الديني أثره يتجاوز الحدود ويندمج في السلوك العملي التطبيقي للشريعة التي كلف بتبليغها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء أغلب المسلمين يشهدون بذلك يوم عرفات في ساحة عرفات ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير محتاج إلى الشهادة بينه وبين الله فهو الذي اختاره للرسالة وكلفه بالتبليغ والأداء والنصيحة وفي ختام الخطاب يرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وسبابته إلى السماء ويشير بها إلى الناس ويقول: "اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد" ثلاث مرات، فكما أشهد المسلمون الله عز وجل على الأداء والبلاغ والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بدوره يشهد الله على شهادة المومنين، وهو يعلم صدقهم وإخلاصهم وحسن نيتهم وإيمانهم الكامل بالدين وبرسالة رسول رب العالمين.

بهذا الخطاب النبوي العظيم في يوم كريم في مكان خصه خالق الناس أجمعين للقاء الأحبة المؤمنين نختم هذه الوقفة القصيرة مع التوجيهات النبوية الكريمة في شؤون الحج الذي هو أحد أركان هذا الدين العظيم وقد رأيناها وشهدناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينفذها ويطبقها والمومنون معه على صعيد واحد، فهنيئا لهؤلاء على حجتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي تعتبر شرفا خاصا ووساما ساميا خصهم به الله عز وجل مباشرة ووضعه على قلوبهم، ولن يبلغ إلى مرتبته أحد من المسلمين غيرهم نرجو الله عز وجل أن يمتعنا برؤيتهم والسلام عليهم في جنات الخلد آمين آمين والسلام.

الوثاق

للعلامة محمد بن أحمد المسناوي

صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة

إعداد وتقديم الأستاذ : إدريس كـرم

الحلقة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

يقول مقيده وجامعه العبد الفقير إلى رحمة مولاه

الغني محمد بن أحمد ابن المسناوي كان الله له آمين.

❖❖❖

الله احمد على ما أنعم، وإياه أشكر شكرا يوفى بما تقرر في النمم، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد نبيه الأعظم، قياما بما أمر به ربنا من تعظيمه وألزم، وبعد:

النسب والإضافات أمور اعتبارية لا وجودية على الأصح:

وأما الثاني فلم يظهر لي وجهه، فإن المعلوم في النسب والإضافات، أنها أمور اعتبارية لا وجودية على الأصح، خلافا للحكماء كما في آخر جمع الجوامع لابن السبكي، ومن أطلق عليها أنها موجودة فباعتبار أنها ليست عدم الشيء، كما قال الجلال المحلى، لا أنها موصوفة بالوجود الخارجي، ولذلك قال الوانوغي على قول المدونة أن السلم رخصة مستثنى من بيع ما ليس عندك، ما نصه فإن قيل لا نسلم أنه بيع ما ليس عنده، لأن متعلقه الذمة، وهي أمر وجودي، والمقرر في الأمر الجودي وجودي، قلنا الذمة أمر إضافي، لا وجود له في الخارج هـ.

❖❖❖

وإن كانت مناقشته في التعبير بسلبية، فهو غير واقع في كلامه، على أنه إذا فهم المقصود فلا مناقشة في العبارة، فانظر ذلك، هذا خلاصة ما للشهاب وابن الشاط في هذا المبحث، وما عليها بحسن اختصار، تهذيب وتفصيل بديع، وترتيب اللاحقة في مسايرة السؤال المرفوع الي في المسألة، قول كاتبه بعد صدر الافتتاح، نطلب من سيادتكم إيضاح حد ابن عرفة للذمة، فقد أشكل علي، وزاده شرح الرصاع له إشكالا، وذكر بعد كلم الرصاع من غير بيان وجه إشكاله، ثم قال وللرصاع غير هذا في شرح هذا الحد مما لم أفهمه،

❖❖❖

جوابه ما تضمن المقصد الأول فإن فيه ما طلب وزيادة، وقوله، وقد أشكل علي أيضا بحث اليزناسني مع ابن عرفة، من جهة أن ما ذكر من الصلاة وما معها إنما هو مما يتقرر في الذمة، ويتعلق بها، وحدّ ابن عرفة إنما هو للمتعلق بالفتح، ولا تعرض فيه للمكسور، ولو بحث بأن الذمة المذكورة لا تصلح لأن تعمر بالصلاة مثلا اتجه، وفي الإطلاق في الزكاة، نظر جوابه أن بحث اليزنناسني في غاية الوضوح، واستشكاله بما ذكر في غاية البعد عن الصواب والنزوح، وذلك أن ابن عرفة قصر المتعلق بالذمة المتقرر فيها على المتمول، حيث أضاف الملك الذي فسرها به إليه، واخرج ما عداه، فاقتضى كلامه أنه لا يتعلق بها، ويتقرر فيها ما ليس بمتمول أصلا، وقول العلماء المذكور في الصلاة ونحوها مخالف له قطعا، فقوله الصلاة وما معها متعلق بالكسر والحد للمتعلق بالفتح، ولا تعرض فيه للمكسور إنكار للمحسوس الذي هو في غاية الظهور، فإن المتمول المذكور فيه قيدا للملك هو المتعلق بالكسر، وبه خرجت الصلاة ونحوها حتى ورد البحث فياللعجي، ومن يقل للمسك أين الشذا، كذبه في الحال من شما، وقوله وفي الإطلاق في الزكاة نظر صحيح.

❖❖❖

وقد قدمنا ذلك في المقصد الأول غير، أن تعبيره بالإطلاق غير سديد لاقتضائه أن بعض أنواع الزكاة مسلم الورود على الحد، مع أنه لا يرد شيء منها على الحد عليه، إذ جميعها متمول، فهو شامل لجملتها، وقوله وهل يمكن أن يقال لنا ذمتان، ذمة معا ملة وهي المحدودة، وذمة عبادة، ولم يتعرضوا لحدها.

❖❖❖

جوابه أن ذلك ممكن كما قدمناه بتوجيهه في الجواب الثاني عن بحث اليزناسني المذكور والنسبة بين الذمتين معلومة مما ذكرناه في شروط ذمة المعاملة، لأن ذمة العبادة معلوم أن شرطها التكليف، فلا تثبت لغير المكلف كالصبي، وتثبت للمكلف رشيدا كان أولا، وذمة المعاملة شرطها عند بعض التمييز لا غير، وعند بعض آخر لا شرط لها على ما حققناه فيما سبق، فللصبي ذمة وفاقا لابن الشاط، وخلافا لصريح نفى الشهاب لها عنه، وأحرى منه السفيه البالغ، وللعبد أيضا ذمة خلافا لمقتضى عد الشهاب، ومن قلده من شروطها عدم الحجر، وأحرى منه المفلس، كما تقدم بسط ذلك كله.

❖❖❖

وقوله وأشكل علي كلام القرافي في الفرق الثالث والثمانين والمائة من غير ما وجه، أكثر مما أشكل على كلام ابن عرفة، ولم يبين ما أشكل عليه منه، جوابه ما تضمنه المقصد الثاني، فقد آتينا فيه بمبلغ العلم، ومنتهى الطاقة، جهد مقل جاد بالذي وجد، ومن بذل المجهود حق به العذر، وقوله وقد نقل كلام القرافي بتصحيف حذف بعض حده سيدي محمد ميارة، في شرح التحفة أداه ذلك إلى جعل منظوم ابن عاصم كلام ابن الشاط، وليس كذلك.

❖❖❖

نقول في جوابه اعلم أن التغيير الواقع في نقل كلام القرافي في تعريف الذمة بزيادة غير المحجور بعد المكلف، ونقص، واللزوم بعد الالتزام أصله، كما سبق في السابقة للمنجور في شرحه لقواعد الزقاق في شرح قول الناظم، هل يتعين الذي في الذمة وإياه تبع ميارة، فإنه قلده في جميع ما نقل من كلام القرافي وابن الشاط وابن عبد السلام وابن عرفة، وأتى في ذلك كله بلفظه كما يعلم بالوقوف عليه، فالدرك على المتبوع في هذا الأمر، على أنه لا كبير ضرر في ذلك التغيير، حتى يتنقض به عليه، لعدم إخلاله بالمعنى المراد، بل هو واف به مع الاختصار، وذلك أنه أدمج شرط ذي الذمة في تعريفها، مكتفيا بعدم الحجر عن الشرطين الأخرين، لتضمنه لهما، ولتقدم أولهما في الحد كما فعل المقري، وحذف المعطوف على الالتزام لاستلزام المعطوف عليه، فإن كل قابل للالتزام قابل للزوم، أي الالزام من نزاع، ولا عكس كما يوخذ مما سبق عن ابن الشاط، وليس كذلك كما سبق في السابقة.

❖❖❖

وثانيهما نسبة ما نقله من قوله، والذمة أمر تقديري، إلى قوله الذي يحوي ذلك المبيع أو عوضه، الذي نظمه بقوله، والشرح للذمة أمر قدرا، الأبيات الثلاثة للحطاب، مع أنه لابن عبد السلام برمته، وإنما الحطاب ناقل له فقط، مع التصريح بنسبته لقائله، وكأنه توهم أن كلام ابن عبد السلام المنقول في الحطاب، قد تم عند قوله، ولا صفة لها كما نقله هو قبل، لاقتصار المنجور علي ذلك القدر من كلام ابن عبد السلام، تبعا لابن عرفة في اقتصاره عليه أيضا، فتوهم ميارة أن ما بعده كله كلام الحطاب، وليس كذلك، فإن الجميع كلام ابن عبد السلام، غير أن ما قبل قوله، وإنما شرطواذلك فيه الخ منقول باللفظ ومن قوله وإنما شرطوا إلى قوله، واعتراض ابن عرفة، منقول بالمعنى كما يعلم بالوقوف عليه في أصله، ولولا طوله لجليناه، حتى يتبين للناظر ما ذكرناه، وهنا انتهى بنا الغرض فيما أردناه، وتم المقصد الذي قصدناه، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وهو المسؤو سبحانه في القبول بمحض فضله، والتوفيق لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع من اقتدى بهداه.

❖❖❖

وقلت في غرض الاعتذار عن مطل السائل، وبيان الغرض الباعث على الخوض في هذه المسائل.

❖❖❖

فهذا جوابي عن غريم سؤالكم
أتى قاضيا للدين من بعدما مطل
وما ذاك من عسر فلله نعمة
على عبده تترا برغم أبي جهل
ولكن لما تدريه من كنه حالتي
من الضعف والسقم المزاحم للشغل
وفترة عزم المرء حينا فربما
مضت برهة والنار خامدة الشعل
ولا سيما في ذا الزمان الذي غدت
نوازله كالقطر أو كحصى الرمل
فلفقته شيئا فشيئا محاولا
لاتقانه صنعا فجاء على مهل
ولا ضير إذ وفى بمضمون سؤلكم
وطابقه ما طابق النعل للنعل
فشأن خطير القدر عزة
نيله ولابد دون الشهد من أبر النحل
فشد عليه الكف ضنا فإنه
على مشرع التحقيق حام بما يمل
ولم أدر هل فازت يداه بغرفة
تبرد من أحشائه غلة الجهل
أو انقلبت كفاه صفرا
فإن يكن فلا عجب فالطيش يعرض للنبل
وتنبوا لدا الضرب الصوارم في الوغا
وتكبوا جياد الخيل في الموطئ السهل
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
وإن كان حاشا المصطفى فائق النبل
وقد سام نفسا بالفضيحة من غدا
يجاري جياد السبق جهلا على الرجل
ولكني أبديت مالاح للحجا
ليقبل أو يلقى لدا مطرح الزبل
وريتما يا صاح انهض همة
فجاءت بما يغنني ويفنى ذوي العقل
وخوطبت من تلقائها عن توهم
بأطرف كذا إن المحل لذ وأهل
ولا ضير فالمقصود تحقيق مبحث
على وجهه من أي شخص له أهل
ولله مني الحمد في كل حالة
فمن فضله قد خاض في مل ذا مثل
وما كنت لولا فضله ونواله
اجيل بهذا الفحص خيلي ولا رجلي

❖❖❖

وأزكى صلاة مع سلام يحبها
على أحمد المختار مع سائر الرسل
وآله والصحب الكرام ومن غدا
على نسجهم من قادة العلم والفضل
واستغفر الله العظيم لكل ما
اسات به في القصد والقول والفعل
وأسأله أن يمنح العبد توبة
وختما بحسنى ان ذا منتهى السؤل
انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه

❖❖❖

الحمد لله تقييدا لسؤال الذي هذا التأليف جواب له سيدنا الإمام، بعد تقبيل مواطئ الاقدام، نطلب من سيادتكم إيضاح حد ابن عرفة الذمة بقوله بعد رد مالابن عبد السلام ملك متمول حاصل أو مقدر قال فخرج ما أمكن حصوله من نكاح أو ولاية أو وجوب حق في قصاص أو غيره مما ليس متمولا إذ لا يسمى ذلك في العرف ذمة هـ.

فقد أشكل علي وزاده في شرح الرصاع إشكالا صوبه ذات ملك متمول الخ قال أي ذات يضاف لها ملك أي استحقاق تصرف في متمول هذا بعد تردده في ملك هل بمعنى المفعول أو المصدر وحاصل أو مقدر عنده راجعان لمتمول واضطراب كلامه في كلى فتارة اقتضى أنه وصف ملك، وتارة وصف متمول، وقد رأيت الثلاثة مجرورة في خط الإمام سيدي محمد ميارة رحمه الله، وللرصاع غير هذا في شرحه للذمة، مما لم أفهمه، وقد بحث اليزنانسني مع ابن عرفة، وقد رد ما أورده على ابن عبد السلام، قال يرد على ابن عرفة، ما يقوله العلماء من أن الصلاة تتعلق بالذمة، وكذلك الصوم والزكاة، وكل ذلك ليس بمتمول هـ لفظه.

وقد أشكل ذلك علي أيضا، من جهة أن ما ذكر، من الصلاة وما معها إنما هو مما يتقرر في الذمة، ويتعلق بها وحد الامام ابن عرفة إنما هو للمتعلق بالفتح، ولا تعلق فيه للمكسور، ولو بحث بأن الذمة المذكورة لا تصلح، لأن تعمر بالصلاة مثلا اتجه وفي الاطلاق في الزكاة نظر، وهل يمكن أن يقال لنا ذمتان، ذمة معاملة، وهي المحدودة، وذمة عبادة، ولم يتعرضوا لحدها فيكون بينهما عموم وخصوص من وجه يجتمعان في الحر البالغ الرشيد، وتنفرد الأولى في الصبي على القول أن له ذمة.

ولكن ذكر القرافي أن شرط التكليف في الذمة لا يعلم فيه خلافا وانظرواما لابن الشاط، وتنفرد الثانية في السفيه إذ شرط الأولى انتفاء الحجر، وتامله في العبد له ذمة مع حجره، والحاصل أشكل علي ما لابن عرفة، ومن تكلم معه، وأكثر منه ما للقرافي من غير ما وجه في الفرق الثالث والثمانين والمائة، وقد نقله بتصحيف حذف بعض حده سيدي محمد ميارة في شرح التحفة، وأداه ذلك إلى جعل منظوم ابن عاصم كلام ابن الشاط، وليس كذلك والمطلوب من كمال فضلكم إيضاح كلامي الإمامين وبيان من له ذمة ممن لا، وعلى الله اثابتكم خويدم تحقيقاتكم محمد التماق يسر الله عليه في العلم هـ.

انتهى

في ظلال الحديث

الحديث الثامن والعشرون والمائة: حسن العشرة دليل على الخيرية (3)

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" رواه الترمذي

كنا تناولنا في الحلقة السابقة، مقومين من مقومات الزوج الخير، هذه المقومات التي نعتقد أنها تكون أساسا ومنطلقا للحديث عن محاور الأسرة الناجحة السعيدة في الدنيا والآخرة...

المقوم الثالث: العدل

وهو الأمر الذي قامت عليه السماوات والأرض، قال الله عزوجل: (وإذا قلتم فاعدلوا)وقال: (اعدلوا هو أقرب للتقوى).

والظلم ظلمات يوم القيامة، وهو من أعظم الذنوب خطرا على الفرد والمجتمع،

والعدل في الحياة الزوجية من أهم أسباب بقاء الأسر وعدم تفككها.

ومعنى العدل في الحياة الزوجية يشمل كل شؤون الحياة. فكم هدم الظلم من بيت، وكم شرد من أطفال، وكم رمل من نساء... كل ذلك بسبب الجور والظلم، واسألوا الشوارع والملاجئ ومراكز الاستماع تسمعون وترون مايصدق، لكن الله للظالم بالمرصاد.

تنام عينك والمظلوم في كمد
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وإذا ذكر العدل في الحياة الزوجية فبادئ ماينصرف إليه الذهن العدل بين الأولاد، الصغار والكبار، والذكور والإناث (كنا تناولنا هذا الموضوع في الحديث السابق)، والعدل بين الزوجات، وهو أمر عظيم.. ومن صور العدل في الحياة الأسرية:

. أن يعامل الرجل زوجته كما يحب أن تعامله، وكذلك الزوجة (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف).

. العدل في نشر الحنان والحب بين الأولاد.

. العدل في حل مشاكل الأسرة مع الآخرين (الوالدين... الجيران...)

. العدل في تقييم الخطأ، فلا تميل إلى والدتك على حساب زوجتك ولا إلى زوجتك على حساب أمك، ولاتمل إلى عاطفة البنوة إن كان ولدك قد أخطأ في حق ولد الجيران... وهكذا، يبقى الأمر في طريقة التصحيح ومعالجة الخطأ، وذلك يخضع لاعتبارات تلابس الحادثة نفسها، لكن ينبغي أن يراعى العدل في تقييم الخطأ فلا يبالغ في تضخيم الخطأ الصغير، ولايتهاون في تصغير الخطأ الكبير...

. العدل في الوقت، اعط لأهلك حقهم من وقتك، لايعقل أن تبقى غائبا طيلة اليوم، خارج البيت، وأن تكون كذلك غائبا في البيت طول الليل...

. من العدل أن لاتذكر زوجتك بالأخطاء الماضية المنتهية، وكأنك تطرح بين يديها كشف حساب وتقيم لها محاكمة، أو لجنة استماع، فقد تعاملك هي أيضا بذلك.

المقوم الرابع: الحكمة في التصرف والتقويم

قال الله تعالى: (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا...) والحكمة هي وضع الشيء في موضعه، الحزم حين يكون الحزم، واللين في موضع اللين.

إذا غضبت على ولدك فلا يكن غضبك حين يتلف أثاثا أو يكسر كأسا، أعظم من غضبك عليه حين يتأخر عن الصلاة أو يتركها...

ولايكن غضبك على زوجتك حين تخطئ في غسيل أو طبخ أو كي أعظم من غضبك عليها حين تغتاب أو تذكر جارتها بسوء...

لاتكثر العتاب في كل صغيرة وكبيرة، فالنظرة أحيانا تكفي، والإشارة في أحوال تشفي، واللبيب بالإشارة يفهم، والتجاهل في مرات يغني عن الخوض والعتاب. قال الغزالي رحمه الله: "لاتكثر على الصبي العتاب، فإنه يهون عليه سماع الملامة"!

المقوم الخامس: المخالطة

مخالطة الأسرة، وإشعارهم بالقرب، والعطف عليهم، وهذه المخالطة مما يزيد الأبناء حبا واقتداء بوالدهم، كما أن المخالطة تزيد الحب بين الزوجين.

كم نسمع عن أزواج يرهقون أنفسهم خارج المنزل بالأعمال، ثم إذا حضر إلى البيت ما يبحث عن شيء إلا الفراش، وكم تسمع عن ذلك الذي ما أن يصل من سفر حتى يستعد لسفر آخر، دون اهتمام أو شعور بما عليه من مسؤولية الأسرة.

المقوم السادس: القيام بأعباء الأسرة ومسؤولياتها

فلا يكون عاطلا، عاجزا، كسولا.. قعيد بيته ينتظر إحسان المحسنين، وتبرع الأقارب، أو راتب زوجته آخر الشهر.. ذليلا خاضعا.. انسلخت منه القوامة فصارت بيد زوجته... إن المرأة كيفما كان مبلغها من العلم، أو الجاه، أو المال، تحب أن ينفق عليها زوجها، من حر ماله، إلا إذا أصابه مكروه. لاقدر الله. فإنها تجاهد وتكافح من أجله...

وهنا لابد من وقفة ننبه فيها عن أخطر الصور، وأشدها إيلاما، وهي صورة ذلك المحسوب على الدعوة، الذي تقاعس عن أوجب الواجبات، وهو العلم والتكسب، والقيام بأعباء الأسرة وتكاليفها، بحجة التفرغ للدعوة... نقول لهذا، والله لقد أخطأت الطريق، وجانبت الصواب، وشوهت الصفة "الداعية" التي تنتسب إليها زورا وبهتانا...

المقوم السابع الدعاء

وهو سلاح المؤمنين الصادقين
سهام الليل التي لاتخطي ولو
كان لها أمد وللأمد انقضاء.

ومن دعاء عباد الرحمن قولهم: (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما).

والدعاء الصالح، مع تحري أوقات وأماكن وأحوال الاستجابة، أمر قد غفل عنه عدد كبير من الناس، فلا تغفل أيها الداعية، عن أن ترفع يديك خاشعا إلى ربك، في جوف الليل، وتدعو الله أن يصلح لك زوجتك وولدك، ولاتنس جيرانك، والمسلمين، الأحياء منهم والأموات، بصالح الدعوات، تكون لك عونا على تحقيق المراد، لعل الله يصلح بدعائك الصالح البلاد والعباد، وما أحوج الأسرة والأمة إلى الدعاء وقت تكالب الأعداء...

5 السلبية والإيجابية في التعامل بين الزوجين

هذه ست عوامل لحياة زوجية أفضل، قد يسرف المرء في الأخذ بها فتنقلب عليه سلبا، وقد يتطرف في العمل بها فتكون حياته جحيما والوسط خير الأمرين.

الأول: القول الحسن. قال سبحانه وتعالى: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم) وقال في أسلوب التعامل مع الوالدين: (وقل لهما قولا كريما...)

ونجد في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة المثلى في هذا التعامل مع أفراد البيت، فهذا الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه. خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين لم يقل لي لشيء فعلته لم فعلته! ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعله!..

وقالت عائشة رضي الله عنها: "لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا.."..

فواجب الزوج إذن أن يعامل زوجته بالقول الحسن اللين الذي لافحش فيه ولاصخب... وهو عامل مهم في سعادة الأسرة واستقرارها.

والقول الحسن ينبغي أن يشمل كل أحوال حياة الزوجين، في الغضب والرضا، في الفرح والحزن، ولذلك كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أسألك كلمة الاخلاص في الرضا والغضب".. فالانسان قد يفرط في الثناء حين الرضا فيطغى ويخرج عن المألوف، وقد تعلو قلبه غشاوة حين الغضب فيجحف في حق الآخرين... لذلك كانت الوسطية هي جانب الإيجاب في هذا التعامل.

الثاني: العشرة بالمعروف قال الله جل وعلا: (وعاشروهن بالمعروف) والمعروف ماعرف حسنه في الشرع.

وباختصار نشير إلى جوانب حسن العشرة الزوجين:

. تربية الأبناء على احترام الوالدين، باحترام كل طرف للآخر، فليس من حسن العشرة أن يعود الأب أبناءه على هوان أمهم، ولاجدهم أو جدتهم...

. ذكر الزوجة بالخير أمام الغير، وخصوصا أمام أهلها، فما أحسن أن يقول الزوج مخاطبا والد زوجته: ما أحسن تربيتكما، فقد وجدتها عطوفا حنونا هينة لينة طائعة... أما ذكر الزوجة أما الأصحاب فإن كثيرا من الأزواج يتحرج أن يذكر زوجته بخير أمام أصحابه، عملا بالعرف والتقاليد، وهذا أمر لابد أن يراجع على أساس من الشرع.

سئل الرسول صلى الله عليه وسلم يوما: من أحب الناس إليك؟قال: عائشة.

فذكر الزوجة أمام الغير بالخير من حسن العشرة والمعاشرة، ولايعني ذلك أن ينفرط الأمر فيذكر الزوج مايحصل بينه وبين زوجه في بيته فيقع في النهي والمحذور.

. أخذ مشورة الزوجة: على خلاف مذهب أولئك الذين يقولون: "شاوروهن وخالفوهن" وينسبون ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، زورا وكذبا وبهتانا، إنما هو من افترائهم، وهو باطل باطل، باطل، فالمشاورة مما يطيب الخاطر، ويؤلف بين القلب، وقد كان صلى الله عليه وسلم يأخذ بمشورة زوجاته، وماحادثه يوم الحديبية التي ذكرنا آنفا، إلا شاهد على ذلك.

والسلبي في جانب المشورة.. أن لايقضي الرجل أمرا إلا بأخذ رأي زوجته فيه، حتى فيما تجهل حاله ووصفه، تبعية للزوجة وعدم خروج عن آرائها...

تلبية طلبات الأهل من حسن العشرة، وليس من حسن العشرة تلبية جميع طلبات الأهل، كيفما كانت دون دراسة وتمحيص، والأمر في هذا وسط واعتدال.

الثالث: الإهداء. "تهادوا تحابوا"... ومن أعظم سهام صيد القلوب وأسرها الهدية حال الرخاء والشدة، عند الفرح وبعد الخصومة.

الرابع: التعليم: "من عال جاريتين أو أكثر فأدبهما وأحسن تأديبهما كانتا له حجابا من النار" ونحن كثيرا ما نهمل هذا الجانب في بيوتنا، آباؤنا وأمهاتنا بعضهم لايجيد قراءة الفاتحة، وبعضهن لايعرفن أحكام الطهارة المتعلقة بالنساء، وبعض زوجاتنا لايعرفن أبجديات في أمور الدعوة والتعليم...

الخامس: إظهار العبادات في المنزل. وهذا من أهم عوامل تربية الأسرة، ومن فنون التعامل مع الزوجة والأبناء، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقوم الليل، ويذكر الله، ويستغفر ويصلي من النوافل ما شاء في بيته تعليما لأهله، وهو القائل في حديث صحيح: "صلوا في بيوتكم.."أي النوافل، وفي حديث آخر "لاتجعلوا بيوتكم مقابر.. إن الشيطان لينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة"..

السادس: رباطة الجأش. والمقصود تربية الزوجة والأبناء على هذه الصفة الحميدة، رباطة الجأش وعدم انفلات الأعصاب والتهور.. فالداعية إلى الله بحاجة إلى أن يربي أهله على ذلك، فهو بحاجة إلى أن يعلمهن الحكمة في التعامل مع الأمور الطارئة المختلفة، فرب طيش زوجة بزوجها إلى الهلاك، ورب تهور في التعامل مع الحدث يأتي بأمور لا تحمد عقباها مستقبلا.

بهذه الضوابط والمقومات. التي ذكرت بعضها، ولايمكنني لقلة زادي وحيلتي، الإحاطة بكلها. تتحقق الخيرية والسعادة، وتغمر البيت المودة والرحمة، وبصلاح الأسر يصلح المجتمع، وترجع العزة إلى الأمة. والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

الفراغ في حياة المؤمن

■ إعداد الأستاذ: عبد الله الطيبي كديرة

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل حياة الإنسان دقائق وثواني تمضي فلا تعود، وما مضى منها في فراغ وضياع حوسب عليه أعسر الحساب يوم الدين. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له نبهنا إلى معرفة الوقت وقيمته وحسن استعماله واستغلاله بأوجز بيان وأبلغ برهان فقال: "ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد" وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله علمنا أن نحسن تقدير قيمة الوقت فلا نهدره فيما لايعود علينا بنفع ديني أو دنيوي فقال: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" يعلمنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في هذا الحديث العظيم من جوامع كلمه أن الوقت من عمرنا الذي نكون فيه متمتعين بصحة البدن والعقل والنفس هو نعمة ننعم بمباهجها وملاذها ومنافعها فإن لم نحسن استغلالها والاستفادة منها فذاك هو الغبن أي الخسران. ويعلمنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أيضا في هذا الحديث البليغ الموجز أن الفراغ في وقت الإنسان نعمة جليلة من الله يمن الله بها على عباده فعليهم أن يحسنوا استغلال نعمة الفراغ هذه فيما ينفعهم من عمل الدين والدنيا وحسن الترويح عن القلب بما أباح الله من مباهج وملاذ طيبة حلال تريح البدن وتسلي القلب فلا يكل ولايعمى، وإن لم يعرف الإنسان كيف يتنعم بنعمة فراغه فهو أيضا مغبون خاسر... وقد أكد لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن الكثير من الناس مغبونون خاسرون في عدم معرفتهم بكيفية حسن الانتفاع والاستمتاع بوقت صحتهم من أعمارهم وبوقت فراغهم من أعمالهم... والحق أيها المؤمنون هو ما نبهنا إليه الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ها هو الصيف قد أقبل وأقبلت معه أوقات فراغ الناس وإجازتهم وعطلهم الصيفية، فكيف يستغلها الناس وكيف يتمتعون بها؟أمامكم المصايف والمنتجعات في الشواطئ والجبال، ولكم عيون ترون بها وآذان تسمعون بها وقلوب تفقهون بها، فإن لم تنكروا منكرها ولو بقلوبكم وهو أضعف الإيمان فليس لي إلا أن أعلنها لكم آية من ربكم وهوالحكيم العليم: "فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور"!

إنني لا أدعو ولا يدعو عاقل إلى أن يمتنع الناس عن التمتع بأوقات فراغهم وعن التنعم بمباهج الحياة والطبيعة في البحار والجبال .. كيف يكون لي أن أحرم ولا يحرم مؤمن ما أحل الله لعباده من الطيبات!؟إن سيدي ومولاي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم أكد لي ولكم بقوله: "روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت" مؤكدا على ضرورة حسن استغلال أوقات الفراغ (أو ما يسمونه اليوم بالوقت الثالث) فيما يسري عن النفس ويروح القلب ويجدد نشاط البدن ويبهج الروح... ولكن أتساءل ويحق لي ذلك ، أما يجري في عموم شواطئنا ومنتجعاتنا الصيفية من عري واضح واختلاط للحابل بالنابل ناصح يمكن أن يعتبره عاقل ترويحا للقلوب وحسن استثمار للوقت الثالث؟! إننا هناك لانقدم شيئا لغدنا في دنيانا ولانقدم شيئا لغدنا القريب في آخرتنا.. إننا هناك نرى أن الكثيرين ينسون دينهم ينسون لغتهم ينسون مستقبلهم ينسون وطنهم... إنهم هناك ينسون الله وأخشى ما أخشاه عليهم وعلينا معهم أن ينسيهم الله أنفسهم ونحن معهم فنصبح من الفاسقين... أي الخارجين عن طاعة الله وصراطه المستقيم إن أعداءنا من الصليبيين والصهيونيين لهذا يخططون ومن أجل هذا يمكرون أمس واليوم وغدا، إنهم لايريدون منا أن نتحول إلى دينهم، إنهم يريدون في حقد أسود أن ننسى الله فقط وننسى أخلاقنا وقيمنا فهذا الأسقف المبشر صمويل زويمر رئيس جمعيات التبشير يقول في مؤتمر عقده المبشرون في القدس عام 1935م يخاطب المبشرين بالمسيحية ويحدد لهم مهمتهم الأساس: "إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لاصلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها" وإذا فقدنا صلتنا بالله وفقدنا أخلاقنا وقيمنا ومقوماتنا فما المصير؟ نصبح والعياذ بالله قوما أضل من الأنعام لانعرف من حياتنا إلا الشهوات والأهواء.. إنهم يمكرون ليردونا في حمأة الرذائل بدعوى التقدم والحداثة ليهسل عليهم ابتلاعنا واستغلالنا... ومع كل أسف وبكل مرارة أقولها: وفينا سماعون لهم منساقون للوقوع في أحابيلهم... والله من ورائهم محيط جميعا... وأعود أيها المؤمنون لأؤكد بكل إصرار أنني لا أدعو إلى إماتة قلوب الناس وأذهانهم بحملهم على العيش عيشة مملة قاتمة كلها شغل وجد... كلا ثم كلا، فقد كان سيدنا رسول الله قدوتنا الطيبة وأسوتنا الحسنة يضرب لنا أروع الأمثال فيمزح حين يناسب الزمان والمكان ولايقول إلا حقا، وقد علم أصحابه كيف يحسنون استغلال أوقات فراغهم فيما ينفع ويفيد ويسلي ويروح حتى لقد بلغ من سموهم وعلوهم في ذلك أن عالم الصحابة المجتهد سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه قال للصحابي الجليل الفقيه سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي" نعم أيها المؤمنون، كانت نومتهم لله وكانت قومتهم لله... فاستحقوا أن تدين لهم الدنيا ليظلوها بظل رحمة الله.. فاللهم اجعلنا على هديهم سائرين في شغلنا وفراغنا وجدنا وهزلنا... واجعل كل ثانية من حياتنا وأعمارنا تمضي في مغنم وربح وراحة وعافية وفوز ونجاح وفلاح اللهم اجعل شغلنا يقظه لأذهاننا وفقها لقلوبنا وقوة في طاعتك لجوارحنا... اللهم اجعل فراغنا راحة لنا وروحا فيما يرضيك ويرضينا وتجديدا لنشاطنا فيما يعود بنا إلى العمل لك بعون منك فلا نستحلي الفراغ المجدب القاحل الماحل العقيم ولا نألفه ولاأهله من الفارغين البطالين المبطلين... سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل سنة المؤمنين شجرة، والشهور فروعها والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمارها وفراغ المؤمن استظلالا بظلالها واستمتاعا بمنظرها وتلذذا بثمارها... الحمد لله الذي جعل ثمار شجرة حياة المؤمن تنضج في طاعة الله فكانت شجرته طيبة تؤتي أكلها كل حين في الشغل والفراغ بالله لله في الله... وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله أكمل خلق الله كان شغله لله وفراغه لله وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه فاحتسب شغله وفراغه لله.

أيها المؤمنون البررة الكرام، حدث الرجل الصالح صلة بن أشيم رحمه الله وكان من الصالحين الذين يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويحسنون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يبشر الناس ولاينفرهم فقال: وكنت إلى ظاهر المدينة لأتعبد، وكنت أمر على شبان يلهون ويلعبون، فكنت أقف عليهم أحيانا وأنصحهم وأعظهم وكان مما أقول لهم خبروني عن قوم مسافرين يلهون ويلعبون بالنهار ويسمرون وينامون بالليل حتى يصلون إلى غايتهم من سفرهم وأكرر ذلك برفق ولين وبأساليب مختلفة، وذات يوم قام أحدهم وقال: يا أصحابي والله إنه يقصدنا نحن فنحن الذين نقضي حياتنا في لهو ولغو وهزل ولعب، وسفرنا إلى الله ونحن لابد ملاقوه في يوم قريب أو بعيد، فكيف سنلقاه؟ وحياتنا فارغة لم نصلح فيها دنيانا ولا آخرتنا.. إنني تائب إلى الله... وسأتفرغ لعمل صالح ينفعني عند ربي، ثم انصرف عن أصحابه إلى عبادة الله علما وعملا... فاللهم اجعل حياتنا اغتناما لخير وقتنا وفضله في شغلنا وفراغنا، اللهم أعنا على حسن تنظيم أوقاتنا وأعمالنا في شغلنا وفراغنا، اللهم جنبنا المجالس الفارغة الخاوية التي لاتنفعنا في شغلنا وفراغنا، اللهم أعنا على ترك الفضول من الأقوال والأعمال في شغلنا وفراغنا، اللهم هيئ لنا مصاحبة المجدين النبهاء الأذكياء الذين نستعين بهم على حسن استغلال شغلنا وفراغنا..

أمير المؤمنين سادس المحمدين اللهم كن له الولي والنصير والمعين والسند والظهير وأصلح له الحاشية والبطانة والوزير اللهم يسر في سبيل تعويد شعبه شيبا وشبابا حسن الالتذاذ بحلاوة استغلال الوقت فيما ينفع ويفيد كل أمر عسير اللهم أقر عينه بولي عهده مولاي الحسن وصنوه الرشيد وبسائر أهله وولده وشعبه وكل من يمت له بصلة مودة وحب وإخلاص خالص لله...

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم ارحمنا ووالدينا وجميع المسلمين برحمتك الواسعة ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما، اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت لاملجأ لي ولا منجى إلا أنت فاغفر لي اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه وسلم تسليما كثيرا سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

السلفية والأسلاف الكرام

إعداد الأستاذ: عبد السلام شفيق

السلفية: من حيث الاشتقاق والدلالة اللغوية

فهي من مادة (سلف) الماضي الثلاثي المجرد، بمعنى: تقدم ومضى.. ومنه الآية الكريمة:(...وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف...)إلا ما قد مضى من أمر الجاهلية الأولى...

السلفية/المصطلح:

إنها مصدر صناعي، وقد أصبحت. علما. بالنقل، من صيغتها المصدرية، إلى الإسمية: على جماعة، تتبنى نهج السلف الصالح، في: العقائد والعبادات والمعاملات...

والكلمة: بالوصف الذي رأينا: (محدثة) بمعنى: (بدعة) بالمفهوم المتواضع عليه للبدعة، لدى السادة الفقهاء...

فالسلفية اعتبارا للمفهوم الجديد... لم تعرف في عهد الصحابة الكرام، ولامعنى لوجودها في عهدهم فهم المادة الأولى للإسلام رضوان الله عليهم!... وهي كذلك، لم يكن لها أثر كبير. فيما أعلم. لدى كبار التابعين، مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري وأمثالهما من الذين ورثوا علم الصحابة. رضوان الله على الجميع... وإنما ظهرت السلفية... في عهود تابعة لهم رضوان الله عليهم... وتأخر ظهورها، لايضيرها أو يعيبها... كما أن اعتبارها : (بدعة) لايقلل من قيمتها: الدلالية والعملية: بل إن تأخر ظهورها وتداولها بالرضا والقبول، من لدن الأمة، دليل على أن (البدعة) ليست مرفوضة على إطلاقها....

. والسلف الصالح: مصطلح، أطلق لأول مرة... على الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان... وقد كانوا رضوان الله عليهم عجبا... في ورعهم وتقواهم وتوسلهم بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام.. فيما يقولون ويفعلون...

. ولذلك: فالذين ابتدعوا هذا المصطلح:(السلفية) أو (السلف الصالح): كان قصدهم شريفا ونبيلا... كان الهدف الأساس من وراء ذلك: . لفت الأنظار وتوجيه الناس... إلى ما كان عليه الرعيل الأول، من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم جميعا، من صدق، في التوجه إلى الله تعالى، ومن حسن اقتداء واتباع لنبيه الكريم ومن نصح وإخلاص لدينه الحنيف، إلى غيرة صادقة على وحدة المسلمين، ممتثلين قول الله تبارك وتعالى : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون...)

. وكان خير من مثل هذه المدرسة السلفية الرائدة. في خير القرون .: الأيمة الأربعة، وسفيان بن عيينة والليث بن سعد، والأوزاعي والأشعري والجنيد... ومن عاصرهم أو تلاهم من أئمة الهدى الذين لايتسع المقام لذكرهم...

. وكان هؤلاد الأئمة الأعلام... يسيرون على قدم السلف الصالح، حذوا بحذوه: علما وورعا وتقوى وتربية وتوجيها وتعليما وعملا ومعاملة، فلم يألوا جهدا في اقتفاء آثارهم على هدى من الله...

. ومع ما كانوا عليه رضوان الله عليهم جميعا، من تمثل صادق لخطى من سبقهم من السلف الصالح... فقد كانت لهم اجتهاداتهم الشخصية...لما كان يجد في عصرهم من قضايا وأحداث... تتطلب معالجة شرعية لها، وإن اختلفوا فيها مع السلف الصالح، فإن اختلافاتهم كانت ظاهرة صحية، لم تكن سببا في النفرة والفرقة والقطيعة، فيما بينهم.. فلا تجريح ولاتأثيم ولاتشنيع، لأنها اختلافات... تمليها المصلحة العامة للأمة، بعيدا عن الهوى.. وحظوظ النفس وتحقيق الزعامة الفكرية على حساب القضايا المصيرية الكبرى للأمة يحذوهم في ذلك : حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم".

... على أن المتتبع... لما كان عليه أسلافنا الكرام من أدب الاختلاف، وحسن المراعاة، لأخلاقيات الحوار في الإسلام، والمحافظة على سمت العلماء... يتملكه العجب العجاب، على ما جبلوا عليه . رحمهم الله . من: حلم وأناة، وسعة صدر، وتواضع واحترام لبعضهم بعضا، فيما كان يجري بينهم من مطارحات فكرية وأدبية، ومناظرات علمية مما نجده في كتب الفقه الإسلامي..

. هذه نبذة يسيرة، من سيرة كرام السلف، رضوان الله عليهم: أردنا الوقوف عند بعض معالمها لنتبين من خلالها، ما كان عليه أئمتنا، من مثاليات الأخلاق، وآداب السلوك، ومعالي الأمور، ونشدان الخير لهذه الأمة الخيرة كما وصفها ربنا جل علاه:

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).

. وأمتنا الإسلامية: ولله الحمد والمنة والنعمة.. لاتزال موصولة الأسباب بكتاب ربها، وسنة نبيها، وسيرة سلفها الصالح... إنها أمة وجدت لتحيا وتسود، وتساهم بنصيبها الأوفر في بناء الحضارة الإنسانية، وتوجيه مسار عجلة الحياة...نحو التوازن والتوسط والاعتدال: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا).

... فلا يزال في أمة الشهادة، خير أصيل وكثير، سيظل فيها، قائما إلى يوم القيامة، تصديقا لقوله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم)

. خير... تمثله طليعة مؤمنة مباركة من : (الخلف الصالح) تسير بخطى ثابتة سيرة (خيرة السلف)...تعمل في ثقة وهمة وتواضع ووضوح، ونصح وإخلاص لله ولكتابه، ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" تقدم الصورة المثلى التي رسمها الكتاب والسنة للإسلام، في: نقائه وصفائه ويسره وسماحته وشموليته ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا... يتطلعون إلى المزيد من الورع والتقوى والصلاح والإصلاح في غير تزيد ولاتكثر أو ادعاء... ولهم وجود وظهور في جميع خلق الله: . "...لايضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله: (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)..

. وإن أمة يوجد فيها مثل هؤلاء الفتية الأبرار، الذين يمثلون السلف الصالح خير تمثيل، لهي أمة جديرة بالبقاء والخلود، والبناء والعطاء...

. إلا أن هذه الأمة المحمدية الشريفة، زادها الله شرفا بنبيها عليه السلام، وبجهود أبنائها المخلصين السائرين على النهج النبوي الشريف: . فقد ابتليت بأقوام، من جلدتها، يتكلمون بألسنتها ويحسبون عليها... أبوا إلا أن يكونوا معاول هدم بيد أعدائها المتربصين بها...

سواء فعلوا ذلك، عن قصد أو غير قصد، فبراءة النية لاتبرر العمل الفاسد..

. والأدهى من ذلك والأمر، أن يمارس الهدم والتخريب ... باسم : (السلفية). السلفية التي أبلت البلاء الحسن سنين عددا، في حماية بيضة الإسلام: وكانت الحارس الأمين والذرع الواقي لهذا الدين الحنيف تنفي "عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وتصد عنه سخافات الملحدين... هي اليوم. السلفية تتعرض لحملة تشويه خطيرة.. على كل المستويات، من قبل أشخاص، لاتربطهم بالسلف الصالح أدنى رابطة سواء على مستوى التنظير والتقييم، أو على مستوى الدعوة والممارسة...

. لا أقول هذا انتقاما من أحد... أو تشفيا وشماتة بأحد، لا... ولاتملقا أو مجاملة لآخرين كلا.. ولا حتى استجلاء للتصديق من أحد...

. إني أتحدث هنا.. عن قناعة... ترسخت في النفس ولدتها تجربة طويلة، في معايشة قوم يدعون السلفية بشدق أفواههم، ويزعمون أنهم الورثة (الوحيدون) للسلف الصالح، وماعداهم من عباد الله فهو واحد من ثلاثة:

. مشرك. كافر. وفي أحسن الأحوال. مبتدع! ولا يوجد في جعبتهم بريء!!..

وواقع القوم. فيما يبدو. من حالهم ومقالهم: أنهم أبعد مايكونون عن السلف الصالح... رضوان الله عليهم.

...فالسلف الصالح ... قد بذلوا جهدا جهيدا في ضبط آليات الاجتهاد. وتقنين أدواته الإجرائية..كي لايدعيه مغرض أو صاحب هوى... وعملواتبعا لذلك. رحمهم الله- على تضييق دائرة الاختلاف، إذ لم يسمحوا لأنفسهم بالتوسع فيه...إلا بالقدر الذي تدعو إليه الحاجة الملحة والضرورة القصوى خوفا من الوقوع في المحظور مما نهى عنه بقوله تعالى:(ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم...

في حين نجد اليوم... باسم السلفية المظلومة:من يدس أنفه في قضايا اجتهادية صرفة تخص مجالس العلماء...ونجد أن السلفية غدت بالنسبة لذوي الأهواء، لاتعني أكثر من مجرد دعوى، ترفع لإثارة الفتنة بين المسلمين بتوسيع دائرة الاختلاف في مسائل فرعية، لايستفيد منها إلا أعداء هذه الأمة... والواقع لايرتفع...

. أليس اليوم.. باسم السلفية المفترى عليها... يتهم علماء أجلاء، في دينهم وسيرتهم وعطائهم العلمي والفكري والدعوي...أو ليس اليوم باسم السلفية...تستباح أرواح وتنتهك أعراض بريئة... فأين مايقع اليوم باسم السلفية.. فما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، من ورع وتقوى وتقدير واحترام للحياة والأحياء، وحرص على الأخوة الإسلامية ومحافظة على وحدة الأمة التي كانت عندهم فوق كل اعتبار، حيث كانوا رحمهم الله يرون وحدة المسلمين: شقيقة التوحيد وقرينته أخذا من قوله تعالى:. (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا...).

المسامرة المكناسية التي أمليتها بالمدرسة الحربية

العلامة: محمد الحجوي

■ الحمد لله العليم الخلاق ، جاعل ارتقاء العالم بالعلم ومكارم الأخلاق ، والصلاة والسلام على النبي الأعظم المبعوث لتكميل المكارم، المجمل من العالم المعالم، وعلى آله وصحبه وسائر اخوانه النبيئين، وصالح النوع الإنساني من المؤمنين.

أما بعد:

أتشرف بأن أفتتح نادي مسامرات المدرسة الحربية باسم جلالة مولانا السلطان ابن السلاطين العظام مولانا يوسف أيده الله ونصره.

أيها السادة المنتخبون للمدرسة الحربية المغربية المنخرطون في سلك جواهرها البهية ، إن الوطن المغربي جعلكم محط آماله وعلق على نجاحكم أماني استقباله قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع العمل أما إنكم القسم الرسمي من الشبيبة العصرية ، والناشئة المدرسية، أما انكم الرعيل الأول ، الذي عليه في الوظائف العسكرية المعول ، رشحتم لأمر عظيم وهيء لكم ما يكفي من معدات العلم والتعليم ، هيئت لكم عرائش الرتب العالية ، وتشوقتم لزفافها ومن خطب العلياء فلابد له من مهر يناسبها ، ألا وإن مهر المعالي العلم ومكارم الأخلاق.

إذا أردتم العلم فجدوا واجتهدوا في طلبه ، واقبلوا عليه بشراشركم ، واعطوه كلكم يعطكم بعضه ،فليس العلم إلا بالتعلم.

تعلم إذا كنت لست بعالم
فما العلم إلا عند أهل التعلم
تعلم فإن العلم زين لأهله
ولن تستطيع العلم إن لم تعلم
تعلم فإن العلم أزين للفتى
من الحلة الحسناء عند التكلم
ولاخير فيمن راح ليس بعالم
بعير بما ياتي ولا متعلم

قال علي كرم الله وجهه، الناس ثلاثة، عالم، ومتعلم ، والباقي همج رعاع ، أتباع كل ناعق..

واعلموا أن تفاوتكم عندي في المراتب سيكون على قدر تفاوتكم في المعلومات ، وقيمة المرء ما كان يحسنه، وعند الامتحان يعز المرء أو يهان، ويفوز النشيط على الكسلان والنبيه على الوسنان ، قال علي كرم الله وجهه:

الناس من جهة التمثيل أكفاء
أبوهم آدم وأمهم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة
وأعظم خلقت فيها وأعضاء
فإن يكن لهم من أصلهم حسب
يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم أنهم
على الهدى لمن استهدى إدلاء
وقدر كل أمراء ما كان يجهله
والجاهلون لأهل العلم أعداء

فشمروا عن ساعد الجد في طلب العلم وسارعوا إليه، وتسابقوا وتنافسوا في اقتناء نفائسه، فإنه الدخيرة العظيمة والحلة النفيسة التي لا تنالها إلا النفس الكريمة فليكن بينكم التنافس لا التقاعس ، بل التسارع والتصارع في معترك التحصيل، فالغنم جليل ، والثواب جزيل ، وكل من جد وجد ، ومن أسرع للصيد ملأ المزود، وآب بما يسير الوالد والولد، ومن توانى في الطلب وسئم التعب ، ومال للراحة والكسل يجرع مرارة الخيبة عند احتساء غيره لشراب العسل، فرغوا أفكاركم من كل شاغل ، يشغل عن التعلم، وانعموا الفكر والتفهم ، واقبلوا على دروسكم بمثل ما تقبلون به على طعامكم وكؤوسكم ، فالدرس حياة النفوس ، وللأرواح شراب ، والانسان لفظ والعلم معناه ، والجسم قشر والقلب لواه ، والعلم للقلب غذاؤه وقواه ، لولا العلم لكانت السيادة في عالم الأرض للحيوان على الإنسان بضخامة جسمه ، ووفور قوته وكثرة عدده.

لكن العلم مكن الانسان من تواصي الأكوان ، وسخر له الأرض يمهد طرقها ويسهل وعرها، ويخرق بحورها ويهدم برازخها ، فيرد بحرها يابسا، ويابسها باجسا يستخدم جبالها وأنهارها ورياحها وأمطارها، ويتمتع بما عليها من نبات وحيوان ، ويصرفه في ملذاته ومشتهياته ، يسخر الحيوانات ، ويأكل منها ما يشاء، ويشيد القصور في عنان السماء ، بل تغلب بعلمه على العناصر من تراب وماء ونار وهواء ، سير الاثقال العظيمة بالبخار، وقرب الأقطار النائية ، وركب البحار، بل غاص فيها ، مستخرجا جوهرها ، بل سبح تحت الماء مع حياتنا، وما كفاه السباحة في الماء ، حتى حلق في الهواء ، وسابق طيور السماء استخرج الجواهر من أعماق المعادن ، وقلب التراب والحجر إلى وهاج فاتن، بل سمت به همته إلى السماء ، ففكر في الرحلة من عالم الأرض إلى عالم الكواكب السيارة للتسلط على ما زعموه هناك من العمارة، كل ذلك بالعلم الذي أنعم الله به على الإنسان وميزه به على أنواع الحيوان ، بل أفراد الإنسان تفاضلت بتفاضلها في أحراز العلوم والتفوق في استنباط الهمم، وهكذا الأمم تقدمها وارتقاءها، فبقدر تقدم المعارف والعلوم في الأمم وانتشارها في أفرادها يكون تقدمها في رفاهيتها وعزها ، فلا رفاهية ولا أمن ولا عز ولا نفوذ ولا راحة ولا هناء ولا حياة في أمة إلا بالعلم، وشرف الأخلاق، فبالعلم تسود الأمم ، وبالجهل المذلة والرغام .

فإذا تبين لكم هذا فاعلموا أن من جملة العلوم التي يجب عليكم الإقبال عليها ، وإحراز قصب السبق في مضمارها علومنا العربية والدينية ، علوم،ابائكم وأسلافكم ، علوم الشريعة والقرآن وما يوصل إلى ذلك من علوم اللسان ، فهي من أهم ما يجب عليكم تقديمه، ومن لم يحسن لغته لم يعرف شريعته، من عجز عن لغة قومه كيف يعرف لغة غيره ، ومن البعيد أو المستحيل عندي أن يمهر أحد منكم في علم من العلوم العصرية، و هو جاهل باللغة العربية، ذلك لأن تلك العلوم لها دقائق ومسائل عويصة ، ولا يتوصل إليها إلا بتدقيق اللغة التي ألقت فيها تلك العلوم ، وهي الفرانسوية مثلا ، وأنى لكم أن تفهموا دقائق اللغة الأجنبية وأنتم جاهلون بدقائق لغتكم، ففي اللغة العربية الفصحى دقائق ولطائف تؤدي بها معان دقيقة لا تصل إليها اللغة الدارجة العامية ، فلا يكشف المترجم دقائق اللغة الفرانسوية التي يريد التوصل بها للعلوم العصرية إلا بعد كشفه لأسرار العربية، وهذا بديهي فجدوا واجتهدوا في تحصيل علوم اللغة العربية كعلم المفردات والنحو والصرف والبيان ، وبذلك تتوصلون إلى ترجمة العلوم العصرية التي انتم بصددها إلى لغتكم العربية ، فتخدمون الوطن المغربي ولغة الضاد ، خدمة عظيمة يشكركم عليها وطنكم العزيز ، وهكذا فضل أسلافكم الأقدمون في الدولة العباسية في الشرق ، والأموية في الأندلس، حيث ترجموا علوم اليونان والهند والرومان وغيرهم.

وكما فعل العصريون من المصريين كالطهطاوي ورشيد وغيرهم لما ترجموا بعض علوم أوروبا ونقلوها إلى العربية وصيروا العربية لغة حية علمية فتصير العلوم الأوروبية تدرس في مدارسنا بلغة قومنا فنزيد تحقيقا ، وتدقيقا وتصبغ بالصبغة العربية وتصير نفوس الأهالي مقلبة عليها إقبالها على العلوم الإسلامية ويزول ما في نفوسهم من القزز والنفرة.

ومن آكد العلوم وأوجبها عليكم علم التوحيد والضروري من الفقه الذي لابد منه لكل مسلم وعلى الأخلاق المسمى بعلم التصوف.

الأخلاق:

اعلموا أننا أمة أحوج إلى الأخلاق منا إلى العلم وكان سلفنا أحرص على الأخلاق منهم عن المال والعلم ، ولا ينتفع الوطن إلا بعالم حسن الأخلاق ، أما عالم بلا أخلاق فكصلاة بلا وضوء ، والعالم الفاسد الاخلاق كبيت مظلم ، فمكارم الأخلاق أصل كل فضيلة ، وفساد الأخلاق أصل كل رذيلة، فالعالم الفاسد الأخلاق لا ينتفع منه وطنه، ولا دينه، ولا نفسه، فبفساد أخلاقه يقدم مصالحه الذاتية بل مفاسده الشخصية وشهواته الشيطانية على المصالح العامة ، فيهلك الحرث والنسل ، ويكون أول المفسدين.

واعلموا أن الانسان ركب من جسم ترابي أرضي، ورح علة علوية ملكية قال تعالى « إني خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي» الآية. فهو من حيث جسمه يشبه النبات والحيوان فيشبههما الأول في نموه والثاني في إحساسه وحركته الاختيارية ، ولكن تميز عنهما بنور العقل والإدراك ، ومن حيث روحه اشبه الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايومرون» فإذا مال لذاته الشهوانية أو غلبت عليه قوته الغضبية الانتقامية كان ملتحقا بالحيوان ، و إذا كان كسلانا بليدا كثير النوم كان أحط من ذلك، والتحق بالنبات في النمو وضخامة الجسم ، فإذا اسمت همته عن ذلك ، وكان قائما بامتثلال أمر الله في ملكه ونهيه قواما بالقسط رفيقا محسنا كان لنوع الملائكة أقرب، بل أفضل لكونه ركبت فيه الشهوة الحيوانية ، وتغلب عليها ، بخلاف الملك فإنه لا شهوة فيه ، بل نور محض ، ولهذا قال العلماء ، إن الانسان عالم مختصر من العوالم كلها ، فلأن في هذا العالم إلا وفي الإنسان أنموذج منه، فهو أفضل موجود إذا كان ذا أخلاق عالية ، وكملات نفسانية، وقالوا إن الجسم الإنساني كمدينة تامة المرافق جوارحه صناعها وعملتها الذين يهيئون المرافق، والنفس رئيس البلدية المدبر لسيرها ، والشهوة عبد سوء جالب للحيرة خبيث ماكر ، يتمثل للوالي في صورة ناصح وهو كاذب غاش ، والعقل مستشار ناصح صادق ، فإذا كان رئيس البلدية يعمل بنصائح مستشاره ، وكان المستشار قد هذبه العلم ، ونبتت فيه الأخلاق الكاملة كانت المدينة منتظمة ، وسارت الإمام أما إذا غلب العبد الماكر الذي هو الشهوة ، اختل النظام وخربت المدينة.

والشهوة هي الهوى المشار إليها بقوله تعالى: ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، وبقوله أما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى الآية . وقال ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، أفرايت من اتخذ إلهه هواه . اللهم إنا نعوذ بك من شح مطاع وهوى متبع فلابد من تهذيب العقل وتكميله بالعلم ثم بالمجاهدة بحيث يحمل نفسه على العلم بمقتضى العلم وعدم الخروج عن سننه فلا يكون علم الديانة عنده لسانيا صناعيا فقط، بل يكون خلقا عمليا فأول ما يأمرنا به الدين ترك الكذب في كل شئ ، والتزام الصدق ، قال تعالى « فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم » وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم المؤمن يكذب قال لا ، ويأمرنا بالوفاء بالعهد ، قال تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا ، وقال تعالى: والذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قيلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرةولايكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

ومن ذلك الوفاء بكل ما يعقده من بيع وشراء، ونحوهما قال تعالى : يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، ويأمرنا بترك الأخلاق السافلة كالخيانة ، والخداع، والغش ، والحقد والجسد والغل ،، والكبر والتجبر والظلم والقساوة وفحش اللسان واحتقار الغير وجفاء الطبع وقلة الحياء وسوء الظن بالناس واتباع عوراتهم، وهو الغيبة والنميمة ، والسعاية بهم لدى الحكام وشهادة الزور والأعيان الفاجرة وأخذ الرشوة والجور في الأحكام وانتهاك المحارم وافظع من ذلك عقوق الوالدين ، ومن عقوقهما ان بسب الرجل أب الرجل فيسب أباه كما في الحديث الصحيح ، وقتل النفس.

وأعظم من ذلك أن يقتل الانسان نفسه التي أنعم الله بها عليه ، والقمار وشرب الخمور، والاشتغال بمالا يفسد من كثرة قيل وقال، وإضاعة الوقت والمال، والزنى الذي هو من أكبر الكبائر، وأقبح القبائح، والمهلكات التي أمرت شريعتنا بتحريمها ، والنهي عنها، والأمور بالتباعد عن كل ما يقرب منها .

(يتبع)

حركة العلوم والأدب بمدينة تازة

■ د. ربيعة بنويس -كلية الآداب والعلوم الإنسانية - القنيطرة

الحلقة الثانية

عرفت الحركة العلمية بمدينة تازة على العهد المريني تطورا مميزا ، حيث توجه المرينيون إليها بنفس العناية التي توجهوا بها إلى عاصمتهم فاس ، حتى عدت من المراكز العلمية المهمة على هذا العهد، وهنا يقول العلامة المرحوم محمد المنوني» استعادت الثقافة المغربية نشاطها في ظل العصر المريني الأول، وبلغت مراكزها . في المدن خاصة . ثلاثة عشر تستوعب مختلف جهات المغرب ، فكانت في المناطق المرتفعة : مكناس وفاس وتازا ...».

وأضاف قائلا» ومن المدن المنوه بها تأتي ثلاثة في الطليعة : فاس ، ثم سبتة وثالثا مراكش ويأتي . بعد هذه القواعد . مدينة تازة ، حيث المواد العربية ناهضة، والمعارف الأخرى متدارسة».

ويقول الدكتور عبد الهادي التازي في السياق ذاته » لقد توجهه إليها (أي تازة) بنو مرين بنفس العناية والحماس الذي توجهوا به إلى عاصمتهم فاس ، بل إنهم اتخذوا من تازة مدرسة لفاذات أكبادهم ، وقاعدة للأمراء وكبار رجال الدولة ..لقد بلغت تازة في العهد المريني ما لم تبلغه معظم المدن في المغرب الأقصى..ولم تكن المدينة محطة إعلام وإخبار فقط، ولكنها مركز إشعاع ثقافي وعلمي وحضاري».

ويكفي دليلا على هذا التطور الفكري أن خزانة المسجد الأعظم بتازة أنشئت خصيصا لاحتضان كتاب " الشفا " للقاضي عياض الذي اضطهده الموحدون ، كما يتضح ذلك من البيت الشعري : (من الكامل)

حفظا لمجموع الشفا أنشئت عن
أمر الخليفة فارس المتوكل

الذي يوجد ضمن الأبيات التي كانت منقوشة على الخزانة ، والتي ذكرها الإسحاقي في رحلته.

هذا الجو العلمي الطافح الذي عرفته مدينة تازة، جعل منها نقطة استقبال الكثير من العلماء الذين جاءوا إليها من مختلف المناطق ، بغية الاستفادة أولا ثم الإفادة ثانيا، خصوصا وأنها وجدت على الطريق الرئيسي الرابط بين فاس وتلمسان ، ومن هؤلاء نذكر " لسان الدين ابن الخطيب " (ت 776 هـ) ، الذي مر بها أثناء رحلته التي قام بها بين ربوع المغرب ، ومما قاله عنها وعن أهلها » تازا بلد مشاع وكشف قناع، ومحل ربع وإيناع ، ووطن طاب هواه ، وعذب ماؤه ، وبان إشرافه واعتلاؤه ، وجلت فيه مواهب الله وآلاؤه، عصيره ثمل ، وأمر الخصب به ممتثل ، وفواكهه لا تحصى، يماري بها البلد الأقصي ، وحبوبه تدوم على الخزن ، وفخاره آية في لطافة الجرم وخفة الوزن ، إلا أن ريحه عاصف ، وبرده لا يصفه واصف ، وأهله في وبال ، من معرة أهل الجبال ، وليوثه مفترسة ، وأخلاق أهله شرسة».

وزارها الإمام " الأبلي " الذي قال » لما نزلت تازة ، بت مع أبي الحسن ابن بري وأبي عبد الله الترجالي...». وزارها أيضا الإمام " أحمد بن محمد المقري التلمساني"، نستشف ذلك من قوله » وكنت لقيت بتازا الفقيه أبا عبد الله ابن عطية ، والأستاذ أبا عبد الله المجاصي ، والأستاذ أبا الحسن الجيار وغيرهم».

ومر بتازة أيضا الشاعر " حسن بن علي القسمطيني" المعروف ب " ابن الفكون" . من شعراء المغرب الأوسط . أثناء رحلته من قسنطينة إلى مراكش ، ومما قاله فيها:

ولما جئت وجدت همت وجدا
بمُنْحَنِث المعاطفِ معنويٍ
وحل رشا الرباط رشا رباطي
وتيَّمَني بطرف بابلي

والمقصود بالرباط هنا "رباط تازة" الذي سميت به تازة قديما.

" وابن بطوطة " الذي مر بها أثناء عودته من رحلته التي استمرت حوالي ثلاثة عقود ، وبها تعرف خبر وفاة والدته حيث قال:» ووصلت إلى مدينة تازة وبها تعرفت خبر موت والدتي بالوباء رحمها الله تعالى، ثم سافرت عن تازة ، فوصلت يوم الجمعة في أواخر شهر شعبان المكرم من 750 إلى حضرة فاس » . وقد علق د عبد الهادي التازي على هذا النص بقوله » كانت هذه الجملة عندي كافية لمعرفة الحركة والروجان الذي تعيشه المدينة من حيث استقطابها لأخبار الناس بواسطة المجاهدين الذين تقاطروا عليها في طريقهم إلى المغرب الشرقي » ، وزارها كذلك " الحسن الوزان " في العهد الوطاسي ، وغيرهم من الرحالة والعلماء الذي كانت تازة ممرا عبروا من خلاله إلى الشرق بصفة عامة.

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

آفة الدين : الغلو

من المهمات الأساسية الأولى لديننا الحق الذي اصطفاه الله واختاره منهاجا للبشر صياغة القلب الإنساني صياغة تجعله يسع كل مشاعر الخير والمحبة ، ويرفض نوازع الشر والفساد ويكتب نظرة صادقة واعية متزنة للحياة ومايسبقها من أمر المنشأ ، أو ما يعقبها من أمر المصير.

وعقيدة الإسلام قامت على السماحة واليسر طبقا لقاعدة عريضة بسطت جوانبها عدة من النصوص الصحيحة ، والتي من شأنها أن تلقي في يقين المؤمن أن أحكام الإسلام وتوجيهاته تربوية تسمو بالمسلم بلا عنت، وترقى به بلا إرهاق، وتعالج نوازعه وغرائزه بلا كبت أو قيد و يقول سبحانه» لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها» ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر» ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون».

ومن هنا فالمسلم في ظلال عبادات الإسلام يرفع في روضة روحية يسعد بها سعادة لا يجد معها عناء الفهم والتفسير، بل يحس بدورها الفعال في دعم رسالته في الحياة ولذا يقول عليه الصلاة والسلام" إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا ، وابشروا ». وقال : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى»

إن الله يعلمنا بأن الغلو آفة تعصف بقلوب البشر ، وراءها نوازغ لا تمت بشئ إلى التدين الصحيح بصلة ، وقد تكون بسبب ضيق أفق، أو قصور فهم أو عجز علمي وثقافي ، وفقدان للتوازن أو التواؤم مع النفس ، أو هوى يدفع إلى الجنوح ، وأيا كان السبب ، فهو بجانب كونه مهلكة لصاحبه بسيء إلى الدين الحق في طهره وصفائه واعتداله ، والذي ينسب المغالون إليه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أصدق عبارة « هلك المتنطعون»

وقد كانت آفة الغلو شائعة في أهل الكتاب تمثلت في أنماط من الانحراف في العقيدة ، كما ظهرت في صورة أخرى من سلوكهم الديني ، وقد حذرهم الله سبحانه قائلا: « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق »

وبعض خطباء الجمعة يجنحون أحيانا إلى الغلو في خطبهم ، فتراهم يتوجهون إلى الناس بالوعيد والنكير ، وشحن موعظتهم بأهوال النار وبما جاء في الأحاديث الضعيفة التي تفتقر إلى السند الصحيح.

إن الغلو داء ، ودواؤه الالتزام الواعي بالعقيدة الصحيحة التي يكون المسلم بها قوي اليقين بربه، حسن الفهم لدينه ، يستمد قدوته وأسوته من خير أمة أخرجت للناس ، فهو قريب من مولاه محبب إلى عباد الله ، إذ لاشيء أهدى ولا أسمى ولا أقوى مما شرعه الله رب العالمين ومانصح به رسولنا الكريم ،لنجعل نصب أعيننا هذا التحذير الإلهي الصريح : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»

في السهو

للعلامة : محمد بن جزي

وفيه فصلان :
الفصل الأول : في السجود:
وفي ست مسائل:
❖ المسألة الأولى : ومحل السجود:
يسجد للنقصان قبل السلام ، والزيادة بعده، فإن اجتمعت الزيادة والنقصان فقبل السلام ، وقال الشافعي : قبل مطلقا ، أبو حنيفة: بعده مطلقا ، وابن حنبل : قبل حيث ورد في الحديث وبعد في غيره.

وعلى المذهب : إن قدم البعدي أجزاه ، وقيل : يعيده بعد ، وإن أخر القبلي فأولى بالصحة.

المسألة الثانية : في حكمه:
سجود السهو واجب ، وفاقا لأبي حنيفة، وقيل : سنة ، وفاقا للشافعي .. وقيل بوجوب القبلي خاصة ، فإن نسي البعدي: سجده متى ذكره، ولو بعد شهر ، وإن نسي القبلي : سجد ما لم يطل أو يحدث، فإن طال أو أحدث ، بطلت الصلاة على المشهور ، وقيل : إنما تبطل إن كان عن نقص فعل لا قول ، فإن ذكر البعدي في صلاة : تمادى وسجد بعدها ، وإن ذكر القبلي فهو كذاكر صلاة في صلاة.

المسألة الثالثة في صفة السجود:
يكبر للسجدتين في ابتدائهما، وفي الرفع منهما ، واختلف : هل يفتقر البعدي إلى نية الإحرام؟ ويتشهد للبعدي ويسلم ، وأما القبلي فإن السلام من الصلاة يجزئ عنه ، وفي التشهد له روايتان .

المسألة الرابعة :
إن سهى الإمام أو الفذ : سجد وإن سهى المأموم وراء الإمام سهوا يوجب السجود : لم يسجد ، لأن الإمام يحمله عنه ، ولا يحمل عنه نقص ركن من أركانها غير الفاتحة . ويسجد المأموم لسهو إمامه، وإن لم يسه معه ، إذا كان قد أدرك ركعة ، فإن لم يدركها : لم يسجد معه ، وقال سحنون : يسجد.

المسألة الخامسة:
المسبوق إن سهى بعد سلام الإمام : سجد ، وأما سهو إمامه، فإن كان قبليا: سجد معه ، وإن كان بعديا : أخره حتى يفرغ من قضائه ، وقال أبو حنيفة وابن حنبل : يسجد معه مطلقا ، وقال إسحاق : يسجد بعد فراغه من قضائه مطلقا . وقال الشافعي : يسجد معه ، ثم يسجد بعد فراغه ، وعلى المذهب ، فاختلف: هل يقوم لقضائه إذا سلم الإمام ؟ أو ينتظره حتى يفرغ من سجوده؟

المسألة السادسة:
من سهى يسبح له. وقال الشافعي : التسبيح للرجال والتصفيق للنساء.
ويجوز كلام الإمام والمأموم والسؤال والمراجعة لإصلاح الصلاة، في المشهور . وقال ابن كنانة : تبطل به الصلاة . وقال سحنون: إنما يجوز في السلام من ركعتين ، كحديث ذي اليدين.
الفصل الثاني : في موجب السجود:
وهو : إما الزيادة ، أو النقصان ، أو الشك.
فأما الزيادة : ففيها خمس مسائل:

المسألة الأولى : في زيادة الفعل:
فإن كان كثيرا جدا : بطلت الصلاة مطلقا ، ولو وجب ، كقتل حية أو عقرب وإنقاذ أعمى أو نفس أو مال . وحد الكثير الذي ليس من جنس الصلاة : مثل الصلاة، وقيل : نصفها. وإن كان يسيرا جدا فمغتفر، كابتلاع شيء بين أسنانه والتفاته ولو بجميع خده ، إلا أن يستدبر القبلة ، وتحريك الأصابع لحكة، وما فوق اليسير إن كان من جنس فعل الصلاة ، كسجدة : أبطل عمده وسجد لسهوه ، وإن كان من غير جنسها : اغتفر ما كان للضرورة ، كانفلات دابة أو مشي لسترة أو فرجة ، وفي غير ذلك البطلان في العمد والسجود في السهو.

المسألة الثانية في زيادة القول:
إن كان سهوا من جنس أقوال الصلاة فمغتفر ، وإن كان من غيرها : سجد له، وقال أبو حنيفة: يبطل . وإن كان عمدا من جنس أقوال الصلاة فمغتفر ، أو لإصلاحها فجائز ، خلافا لابن كنانة . وغير ذلك مبطل وإن وجب.

❖ فروع :
. يفتح المأموم على الإمام إذا وقف واستفهم.
. ومن تلا وقصده التفهيم له لم يضره ، كقوله : (ادخلوها بسلام)
. ولا يتعوذ المأموم ولا يدعو عند آية العذاب ، ويكره ذلك للإمام والفذ ، خلافا للشافعي.
. ومن عطس في الصلاة لم يحمد ، إلا في نفسه ، ولم يشمت ، خلافا لابن حنبل .
. ويجوز السلام على المصلي ، ويرد بالإشارة ، وقال اللخمي : في نفسه.

المسألة الثالثة : في ما يشبه القول:
فالنفخ غير مبطل ، وقيل : يبطل عمده ويسجد لسهوه ، والبكاء خشوعا حسن، وإلا فهو كالكلام ، والأنين كالكلام ، إلا أن يضطر إليه . والقهقهة تبطل مطلقا ، وقيل: في العمد ، والتبسم مغتفر، وقيل : يسجد له بعد السلام ، لأنه زيادة، وقيل : قبل السلام، لنقص الخشوع . والتنحنح لضرورة لا يبطل ، ودونها فيه قولان . وقراءة كتاب إن حرك به لسانه كالكلام ، وإلا فمغتفر إلا أن يطول.

المسألة الرابعة:
من قام إلى ركعة زائدة في الفريضة : رجع متى ذكر وسجد بعد السلام ، وكذلك يسجد إن لم يذكر حتى سلم . فإن كان إماما ، فمن اتبعه من المأمومين عالما بالزيادة عمدا : بطلت صلاته ، ومن اتبعه ساهيا أو شاكا : صحت صلاته ، ومن اتبعه جاهلا أو متأولا فيه قولان ، ومن لم يتبعه وجلس : صحت صلاته . فإن كان قيامه لموجب، كإلغاء ركعة يجب قضاؤها، فمن أيقن بالموجب أو شك فيه: وجب عليه اتباعه ، فإن لم يتبعه : بطلت صلاته، ومن أيقن بعدمه : لم يجز له اتباعه ، فإن اتبعه : بطلت.

المسألة الخامسة:
من قام إلى ثالثة في النافلة، فإن تذكر قبل الركوع : رجع وسجد بعد السلام ، وإن تذكر بعد الرفع : أضاف إليها ركعة وسلم من أربع وسجد بعد السلام ، لزيادة الركعتين ، وقيل : قبله لنقص السلام في محله ، وإن تذكر وهو راكع ، فقولان بناء على عقد الركعة : هل هو بالركوع ؟ أو بالرفع منه؟

وأما النقصان : فينقسم إلى : نقص ركن، أو سنة أو فضيلة. فإن نقص ركنا عمدا: بطلت صلاته ، وإن نقصه سهوا : جبره ما لم يفت محله ، فإن فات ألغى الركعة وقضاها ، إلا النية وتكبيرة الإحرام.وإن نقص سنة ساهيا : سجد لها، وإن نقصها عمدا : سجد لها أيضا . وفاقا للشافعي ، وقال ابن القاسم : لاشيء عليه ، وفاقا لأبي حنيفة ، وقيل : تبطل لتهاونه. والجاهل اختلف فيه في جميع المسائل : هل يلحق بالناسي؟ أو بالعامد؟ وإن نقص فضيلة فلا شيء عليه.

هذا على الجملة ، ولنبسطه على التفصيل:
. أما نقص الأركان : ففيه خمس مسائل.

. المسألة الأولى : في الإحرام:
فمن نسي تكبيرة الإحرام أو شك فيها ، إن كان فذا أو إماما : قطع متى ذكر، وأحرم وابتدأ . وإن كان مأموما ، فله ثلاثة أحوال : إن كبر للركوع ونوى به الإحرام:
أجزاه ، خلافا للشافعي . وإن كبر للركوع ولم ينو به الإحرام : تمادى، مراعاة للخلاف ، ثم أعاد . وإن لم يكبر للركوع ولا للإحرام : قطع وكبر وابتدأ، ولم يحتسب بما مضى.

المسألة الثانية : في الفاتحة:
من نسي الفاتحة إن كان مأموما فلا شيء عليه ، وإن كان إماما أو فذا ، فإن نسيها من الصلاة كلها : بطلت صلاته، خلافا لأبي حنيفة. وإن نسيها من ركعة فأكثر، فقيل : يعيد الصلاة ، وقيل : يلغي الركعة ويقضيها، وقيل : يسجد للسهو.

المسألة الثالثة : في الركوع والسجود:
من نسي ركعة أو سجدة وهو إمام أو فذ : فإن فات محلها : ألغى الركعة وقضاها بكمالها، وإن أدرك محلها : أتى بها. ويدركها في المذهب ما لم يعتقد الركعة التي تليها ، على الاختلاف: هل تنعقد بالركوع؟ أو بالرفع منه؟ ويدركها عندهما وإن تم ركوع التي تليها. وإن كان مأموما: أتى بها وأدرك الإمام، ما لم يقم الإمام إلى الركعة الثانية ، وقيل : يدركه ما لم يرفع رأسه من الركعة الثانية ، وقيل : يلغيها، فإن كان سهو المأموم عن السجود في الركعة الأخيرة : أدركه ، ما لم يسلم الإمام.

❖ تنبيه : وهذا حكم المأموم متى ترك الركوع أو السجود لسهو أو نعاس يغلب عليه أو زحام حتى لا يجد أين يركع أو يسجد. وقال الشافعي وابن حنبل : يسجد في الزحام على ظهر أخيه ، ولا يجوز ذلك في المذهب.

❖فروع ستة:
الفرع الأول: إذا ذكر سجدة وهو في التشهد الأخير : فإن كانت من الركعة الأخيرة : سجد مكانها ، وإن كانت من غيرها : قضى ركعة ، وإن شك هل هي منها؟ أو من غيرها؟ سجد ثم أتى بركعة عند ابن القاسم ، وأتى بركعة خاصة عند أشهب.

الفرع الثاني: إن ذكر سجدة من الركعة الأخيرة بعد سلامه : سجد ، وقيل يأتي بركعة ، لأن السلام فاصل.

الفرع الثالث : من نسي أربع سجدات من أربع ركعات: يسجد سجدة يصلح بها الركعة الرابعة وقضى ثلاث ركعات في المشهور ، وقيل : تبطل لكثرة السهو ، وقال أبو حنيفة : يسجد أربع سجدات متواليات وتصح، وقال الشافعي : يحسب الأربع سجدات التي سجد لركعتين كاملتين ، ويقوم فيقضي ركعتين. فإن نسي ثماني سجدات مع أربع ركعات : سجد سجدتين لإصلاح الركعة الرابعة ثم قضى ثلاث ركعات ، والبطلان هنا أولى.

الفرع الرابع : من أخل بالركوع من ركعة وبالسجود من أخرى أو بالعكس: يلفق سجود واحدة بركوع أخرى ، على المشهور.

الفرع الخامس : لو ركع وسهى عن الرفع : فقال ابن القاسم : يلغي الركعة وقال أيضا : يرجع ما (لم) يعقد ركعة أخرى.

الفرع السادس : من ترك الاعتدال : سجد، على القول بأنه سنة، وألغى الركعة، على القول بوجوبه.

المسألة الرابعة : في السلام:
من نسي السلام: فإن طال أو انتقض وضوؤه : بطلت صلاته ، خلافا لأبي حنيفة ، وإن لم يطل ولم ينتقض وضوؤه: رجع إلى الجلوس ، فسلم وسجد بعد السلام ، إن كان قد قام أو حول وجهه من القبلة ، ويرجع بتكبير على المشهور . وهل يكبر جالسا ؟ أو قائما؟ قولان . وهل يتشهد قبل هذا السلام؟ قولان ، وإن شك في السلام : سلم ولا سجود عليه.

(تابع ص:10)

يانبي الهدى

للشاعر : عبد الحميد الجوهري

اشهدوا عني يوم يأت اللقاء ❖❖❖ اشهدوا عني يوم تطوى السماء
أين في بالمصطفى نور قلبي ❖❖❖ يانبي الهدى إليك الورلاء

يانبي الهدى عليك سلامي ❖❖❖ مابدا نجم في السماء يستضاء
ياصفي العباد كن لي صفيا ❖❖❖ يوم ترعى في ظلك الأصفياء
واجتباك الرحمٰن من بين قوم ❖❖❖ فانشت أهل الكون والأنبياء
واختفى ببزوغك الكفر طرا ❖❖❖ والشياطين قد سباها الشقاء
بالمثاني السبع اصطفاك أمينا ❖❖❖ وكتاب الرحمٰن فيه الشفاء

إن هذا الإسلام حق علينا ❖❖❖ نصره مهما يقتفينا العداء
بسلاح الإيمان نعلي حياة ❖❖❖ ولباس التقوى علينا رداء
وعباد الرحمٰن تهفو بقلب ❖❖❖ سمة الخير نالها الأولياء

أسأل الله أن يرد عبادا ❖❖❖ رقصوا للدنيا وفي القلب داء
إن عصري قد غير الوضع شكلا ❖❖❖ كثر النزق واعترانا الجفاء
وترى الفلس حطم القلب إربا ❖❖❖ ظهر الطامحون والأدعياء
ياعباد الله ارجعوا لهداكم ❖❖❖ إن هذا القرآن فيه ارتقاء
إن رحمة الله في كل شيء ❖❖❖ سرُّ رحمة الله فينا الدعاء

رب إبليس راود النفس دوما ❖❖❖ رب إن النفس اعتراها التواء
رب إني أعوذ من شر نفسي ❖❖❖ حينما يعلو في سماها الغباء
غلت القلب هيج الروح ضيما ❖❖❖ ياحبيب الرحمان أنت الدواء
وذنوبي شفافة قد أراها ❖❖❖ يارسول الإسلام أنت الغطاء
كن شفيعي يوم اللقا حين تطوى ❖❖❖ صحف النشر في ذُراها الجزاء
وصلاتي عليك ما دمت حيا ❖❖❖ وسلامي عليك فيه الثناء

طرا: طرفا
سراهم : ليلهم
إربا : عضوا

ثلاثة أخطاء في التسليم

الأستاذ : مشهور حسن سليمان

أما التسليم : فهو ركن من أركان الصلاة، وفرض من فروضها ، لا تصح إلا به ، هذا مذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

وننبه على الأخطاء التالية فيه:

(22/15) أولا : يلاحظ أن بعض المصلين إذا سلم يشير بيده اليمنى جهة اليمين وباليسرى للجهة الثانية، وقد كان الصحابة يفعلونه، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

عن جابر بن سمرة قال:

كنا إذا صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلنا : السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله ، وأشار بيده إلى الجانبين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مالي أراكم ترفعون أيديكم كأنها أذناب خيل شُمس.

فتركوا الرفع ، واكتفوا بالتسليم.

(22/16) ثانيا : يستحب أن يدرج لفظ السلام ، ولا يمد مدا.

قال ابن سيد الناس لا أعلم في ذلك خلافا بين علماء

(22/17) : سئل ابن تيمية عن رجل إذا سلم عن يمينه يقول : السلام عليكم ورحمة الله، أسألك الفوز بالجنة ، وعن شماله : السلام عليكم ، أسألك النجاة من النار، فهل هذا مكروه أم لا؟

فأجاب:

الحمد لله ، نعم يكره هذا ، لأن هذا بدعة ، فإن لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا استحبه أحد من العلماء ، وهذا إحداث دعاء في الصلاة في غير محله، يفصل بأحدهما بين التسليمتين ، ويصل التسليمة بالآخر ، وليس لأحد فصل الصفة المشروعة على هذا ، كما لو قال: سمع الله لمن حمده، أسألك الفوز بالجنة، ربنا ولك الحمد ، أسألك النجاة من النار ، وأمثال ذلك.

(تتمة ص:9)

المسألة الخامسة:

من سلم قبل تمام صلاته عامدا : بطلت صلاته ، وإن كان ساهيا : رجع فأتم صلاته وسجد لسهوه ورجوعه بغير تكبير إن قرب ، وإلا فقولان ، وإذا كبر : فهل يكبر جالسا؟ أو قائما؟ قولان وإذا كبر قائما: فهل يجلس ثم ينهض لإتمام الصلاة؟ أولا يجلس؟ قولان. وإن شك في تمام صلاته فسلم: بطلت، وإن ظن أنها تمت فسلم: رجع لإتمامها . ومن سلم قبل إتمام إمامه عامدا: بطلت ، وإن ظن أنها تمت فسلم : رجع لإتمامها ، ومن سلم قبل إتمام إمامه عامدا: بطلت صلاته ، فإن كان ساهيا، أو ظن أن الإمام قد سلم : رجع ثم سلم.

. وأما نقص السنن : ففيه خمس مسائل:

❖ المسألة الأولى:

من نسي السورة التي مع أم القرآن : سجد قبل السلام ، في المشهور ، وقيل : لا يسجد ، بناء على أنه : هل يسجد للسنن التي هي أقوال؟ أو لا ؟ وهذا في الإمام والفذ ، وأما المأموم فلا سجود عليه.

المسألة الثانية:

اختلف في سجود من ترك التكبير غير الإحرام ، أو سمع الله لمن حمده، أو أبدل التكبير بالتحميد أو العكس ، وذلك مبني على : هل يسجد للأقوال؟ أم لا ؟ إلا أنه لايسجد في المرة الواحدة من ذلك كله لخفته ، على المشهور.

المسألة الثالثة:

من أسر فيما يجهر فيه : سجد قبل السلام ، على المشهور ، وقيل : بعده ومن جهر فيما يسر فيه: سجد بعد السلام ، في المشهور ، وقيل : قبله . وهذا في السهو ، فإن تعمد ترك الجهر والإسرار ، ففيه ثلاثة أقوال : البطلان ، والسجود، والإجزاء دون سجود ، ويغتفر الجهر بآية واحدة ونحوها، وقال الشافعي : لا شيء في ترك الجهر والسر.

المسألة الرابعة :

من نسي الجلسة الوسطى : سجد لها قبل السلام. ثم إنه إن ذكر قبل أن يفارق الأرض بيديه: أمر بالرجوع إلى الجلوس . فإن رجع: فلا سجود عليه، في المشهور، لخفته: وإن لم يرجع : سجد. وإن ذكر بعد مفارقته الأرض بيده : لم يرجع على المشهور ، فإن رجع ، فاختلف: هل يسجد؟ أم لا ؟ وإن لم يرجع : سجد . وإن ذكر بعد أن استقل قائما: لم يرجع وسجد للسهو ، فإن رجع فقد أساء ولا تبطل صلاته ، على المشهور، إلا أنه اختلف: هل يسجد بعد السلام ، لزيادة القيام؟ أو قبله، لجمعه بين زيادة القيام ونقص الجلسة من محلها؟

المسألة الخامسة:

من نسي التشهدين أو أحدهما وكان قد جلس له : سجد قبل السلام ، على المشهور ، وقيل : بعده لخفة الأقوال ، وقيل: لا يسجد، بناء على ترك السجود للأقوال.

ولا سجود على من ترك الصلاة على النبي. صلى الله عليه وسلم. ، في المشهور . وقال الشافعي: يسجد من تركها من التشهد الأول ، وتبطل صلاة من تركها من التشهد الثاني.

. وأما الشك : فإن كان موسوسا : بنى على أول خاطريه. وهل يسجد؟ أو لا؟ قولان ، وعلى القول بالسجود: فهل يسجد قبل السلام؟ أو بعده؟ قولان . وإن كان صحيحا: فإن شك في النقصان ، فهو كمتحققه، وإن شك في عدد ركعاته . كمن لم يدر : أصلى ثلاثا؟ أو أربعا؟ . بنى على الأقل وأتى بما شك فيه، عند الإمامين ، وسجد بعد السلام في المشهور، وقيل : وفاقا للشافعي.

❖ فرع: إذا شك المصلي : أخذ بأخبار عدلين، وقيل : عدل . وإن تيقن : لم يرجع إلى خبر غيره، إلا إن كانوا جماعة يحصل بهم اليقين.

انظر : القوانين الفقهية.

أسرار التكرار في القرآن الكريم

■ إعداد الأستاذ: محمد حمدو

التكرار لغة، من فعل . كرر . أي أعاد .
واصطلاحا : دلالة ، اللفظ على معناه مرددا ، مثل قولك :(أدخل . أدخل)
والقرآن الكريم حافل بهذا الأسلوب البلاغي . فقد ورد فيه التكرار في عدة مواضع ، وذلك لمعان عظيمة ، وفوائد جليلة لا ينتبه إليها إلا من آتاه الله ذوقا بيانيا يمكنه من كشف أسرار اللغة العربية . وقد تحدث علماء كثيرون عن ظاهرة التكرار ولطائفها في القرآن الكريم . قال صاحب الطراز : « وهكذا القول فيما ورد من الآيات المكررة ، فإنها لم تتكرر إلا لمقصد عظيم في الرمز إلى ذلك المعنى الذي سيقت من أجله ، ثم قال ، فإنها مشتملة على أسرار ورموز من أحاط بها فقد أوتي من البلاغة مفاتيح الكنوز، ويقول الرافعي : وهاهنا معنى دقيق في التحدي نظن العرب إلا بلغوا منه عجبا وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن ، بل لقد عد العلماء التكرار من أساليب النصاحة ، قال الزركشي : وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظانا أنه لا فائدة له ، وليس كذلك ، بل هو من محاسنها .
ولأسلوب التكرار في القرآن لطائف وأسرار منها:

1 . الحث على التأمل والاعتبار والاتعاظ: مثال ذلك تكرار قوله تعالى:" ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر» سورة القمر حيث جاءت هذه الآية للتنبيه إلى أن ما سيأتي بعده ينبغي التأمل فيه، وأخذ العبرة منه ، كالاتعاظ مما جرى لـ : " عاد " ، و " ثمود ، و " قوم لوط " ، و" آل فرعون ".

2 . الحث على ملازمة الشيء والمواظبة عليه : كتكرار كلمة التوحيد في قوله تعالى:" شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا إلاه إلا هو العزيز الحكيم ، سورة آل عمران / الآية 18 .
فقد تكررت كلمة التوحيد لحث العبد على ملازمتها والمواظبة عليها.

3 . التوبيخ : كما في سورة " الرحمن " عند تكرار قوله:» فبأي آلاء بركما تكذبان» فقد عدد الخالق سبحانه آلاءه ونعمه ، ونبه خلقه إليها ، ثم ختم عند ذكر كل نعمة بتلك الصيغة المكررة ، وجعلها فاصلا بين كل نعمتين ليوبخ بها الجاحدين.

4 . التخصيص: كقوله تعالى : « الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا . إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون " ، سورة غافر / الآية 61. كرر سبحانه كلمة الناس . تخصيصا لكفران النعمة بهم من بين سائر المخلوقات.

5 . الوعيد والتخويف : مثل قوله تعالى: « ويل يومئذ للمكذبين» في سورة المرسلات كررت هذه الصيغة لما فيها من الإنذار والوعيد من التكذيب باليوم الآخر وما فيه من أهوال.

6 . التيئيس : كما في سورة " الكافرون " فإن فيها من التكرار ما يبعث في قلوب الكافرين اليأس بأن محمدا صلى الله عليه وسلم لا ينصرف ، ولن ينصرف عن دينه إلى دين آخر ، وأنه مصر على ما هو عليه من الحق.

7 . التعجب : كما في قوله تعالى :" فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ، سورة المدثر، الآيتان: 19 .20 . فصيغة " قتل كيف قدر" الثانية تكرار ، الغرض منه إظهار التعجب.

8 . تثبيت المعنى في النفوس : كقوله تعالى:» يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ، سورة الحشر/ الآية : 18 . كرر الحق سبحانه الأمر بالتقوى لتثبيته في نفوس الناس.

9 . الزيادة في تحسين المعنى : مثل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم » سورة التغابن / الآية 14 . كرر العفو والصفح والمغفرة و كلها بمعنى واحد للزيادة في تزيين هذا المعنى ، وتحسين عفو الوالد عن ولده ، والزوج عن زوجته.

10 . التعظيم : كما في قوله تعالى:" فإذا نقر في الناقور ، فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير » سورة المدثر / الآيات 10.9.8 . فقوله تعالى : "غير يسير" تكرار قصد منه تعظيم شأن ذلك اليوم لشدته وهوله.

هذا بعض ما يتعلق بظاهرة التكرار في القرآن الكريم وما يكتنفها من أسرار وفوائد بلاغية تنحني أمامها جباه أساطين البيان . « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » سورة الإسراء/ الآية: 88.

حصة أوقات الصلاة لشهر صفر الخير لعام 1426 هـ
حسب التوقيت الإداري لمدينتي الرباط وسلا والنواحي

الأيام	صفر الخير 1426	مارس / أبريل 2005	الصبح س : د	الشروق س : د	الظهر س : د	العصر س : د	المغرب س : د	العشاء س : د
السبت	1	12	13:5	39:6	42:12	00:4	36:6	51:7
الأحد	2	13	12:5	38:6	41:12	00:4	37:6	52:7
الاثنين	3	14	10:5	36:6	41:12	00:4	38:6	53:7
الثلاثاء	4	15	09:5	35:6	41:12	01:4	39:6	54:7
الأربعاء	5	16	08:5	34:6	41:12	01:4	39:6	54:7
الخميس	6	17	06:5	32:6	40:12	01:4	40:6	55:7
الجمعة	7	18	05:5	31:6	40:12	02:4	41:6	56:7
السبت	8	19	03:5	30:6	40:12	02:4	42:6	57:7
الأحد	9	20	02:5	28:6	39:12	02:4	42:6	58:7
الاثنين	10	21	00:5	27:6	39:12	02:4	43:6	59:7
الثلاثاء	11	22	59:4	26:6	39:12	03:4	44:6	59:7
الأربعاء	12	23	57:4	24:6	38:12	03:4	45:6	00:8
الخميس	13	24	56:4	23:6	38:12	03:4	46:6	01:8
الجمعة	14	25	54:4	21:6	38:12	03:4	46:6	02:8
السبت	15	26	53:4	20:6	38:12	04:4	47:6	03:8
الأحد	16	27	51:4	19:6	37:12	04:4	48:6	04:8
الاثنين	17	28	50:4	17:6	37:12	04:4	49:6	05:8
الثلاثاء	18	29	48:4	16:6	37:12	04:4	49:6	06:8
الأربعاء	19	30	47:4	15:6	36:12	04:4	50:6	06:8
الخميس	20	31	45:4	13:6	36:12	04:4	51:6	07:8
الجمعة	21	أبريل	44:4	12:6	36:12	05:4	52:6	08:8
السبت	22	2	42:4	11:6	35:12	05:4	52:6	09:8
الأحد	23	3	41:4	09:6	35:12	05:4	53:6	10:8
الاثنين	24	4	39:4	08:6	35:12	05:4	54:6	11:8
الثلاثاء	25	5	38:4	07:6	35:12	05:4	55:6	12:8
الأربعاء	26	6	36:4	05:6	34:12	05:4	55:6	13:8
الخميس	27	7	35:4	04:6	34:12	05:4	56:6	14:8
الجمعة	28	8	33:4	03:6	34:12	06:4	57:6	15:8
السبت	29	9	32:4	01:6	33:12	06:4	58:6	16:8

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1110
السنة39
الجمعة 28 صفر 1426 هـ
الموافق 08 أبريل 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1110 الجمعة 28 صفر 1426 هـ .الموافق 08 ابريل 2005م

قراءة في قسم المقاصد من "الموافقات" للشاطبي

■ إعداد الدكتور: محمد منصيف العسري

■ يعتبر الإمام أبو إسحاق الشاطبي، المتوفى سنة 790هـ. شيخ المقاصد نظرا للتجديد الواضح الذي جاء به في مجال الفكر والتنظير المقاصدي، حتى أنه شكل منعطفا هاما جدا في تاريخ أصول الفقه، كما سطر ذلك على وجه الخصوص في كتابه "الموافقات" الذي قسمه إلى خمسة أقسام: الأول في المقدمات العلمية المحتاج إليها في تمهيد المقصود، والثاني في الأحكام وما يتعلق بها من حيث تصورها والحكم بها أو عليها كانت من خطاب الوضع أو من خطاب التكليف، والثالث في المقاصد الشرعية ومايتعلق بها من الأحكام، والرابع في حصر الأدلة الشرعية وذكر مآخذها وعلى أي وجه يحكم بها على أفعال المكلفين، والخامس في أحكام الاجتهاد والتقليد ومايتعلق بذلك من التعارض والترجيح والسؤال والجواب.

وسنتناول فيما يلي عرض أهم المضامين الواردة في القسم الثالث المتعلق بالمقاصد، بما يجلي أهم الأفكار والقواعد المقاصدية التي قررها الإمام الشاطبي فكان بذلك رائدا في مجال التنظير المقاصدي.

وهذا القسم المتعلق بالمقاصد قسمه الشاطبي إلى قسمين: الأول قصد الشارع، والثاني قصد المكلف، ثم قسم القسم الأول إلى أربعة أنواع: أولا: قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداء، ثانيا قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام، ثالثا قصد الشارع في وضع الشريعة للتكليف بمقتضاها، رابعا قصد الشارع في دخول المكلف تحت أحكام الشريعة. وأما القسم الثاني الخاص بمقاصد المكلف، فلم يقسمه إلى أنواع وإنما عرضه في شكل مسائل.

أ-مقاصد الشارع:

1. 1. قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداء:

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلمة "ابتداء" إنما ذكرها الشاطبي عند تقسيمه للمقاصد، وهي التي توضح مراده بهذا النوع ولذلك علق عليها الشيخ عبد الله دراز هناك بقوله: أي بالقصد الذي يعتبر في المرتبة الأولى ويكون ماعداه كأنه تفصيل له، وهذا القصد الأول هو أنها وضعت لمصالح العباد في الدارين (الموافقات ج 2 هامش ص5).

وقد افتتح الشاطبي بيانه لهذا النوع في بداية المسألة الأولى بقوله: تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لاتعدو ثلاثة أقسام: أحدها أن تكون ضرورية، والثاني أن تكون حاجية، والثالث أن تكون تحسينية (الموافقات ج2ص8).

ثم بدأ الشاطبي في التعريف بهذه المراتب الثلاث، فالضرورية هي التي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين، وأما الحاجية فهي المفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، ولكنه لايبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة. وأما التحسينية فهي الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق (الموافقات ج2ص11.8).

وحفظ الشريعة للمقاصد الضرورية وغيرها يتم على وجهين يكمل أحدهما الأخر، وهو ما نص عليه الشاطبي بالنسبة للضرورية حيث قال: والحفظ لها يكون بأمرين :أحدهما: مايقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، والثاني: مايدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم (الموافقات ج2ص8).

وقد ذكر أن مجموع الضرورات خمسة وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل (الموافقات ج2ص10)، ويلاحظ أن هذا الترتيب الذي أورد به الشاطبي الكليات الخمس مخالف لترتيب غيره من الأصوليين، على خلاف بينهم أيضا في ذلك الترتيب، بل إنه مخالف لما أورده هو نفسه في مكان آخر من "الموافقات" مما يدل على أنه لم يكن يقصد الجزم بهذا الترتيب، فقد قال في ذلك الموضع الآخر: "الأصول الكلية التي جاءت الشريعة بحفظها خمسة وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال" (الموافقات ج3ص47.46).

وكأن الشاطبي يشير بعدم التزامه نفس الترتيب للكليات الخمس إلى أن ترتيبها محل خلاف بين الأصوليين، وعلى كل حال فإن هذا الترتيب الأخير هو الذي نختاره، فيكون ترتيبها من الأعلى إلى الأسفل هكذا: الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

كما يلاحظ على الشاطبي أنه في الموضع الأول سمى هذه الخمس ضروريات وفي الموضع الثاني سماها أصولا كلية، ونحن نفضل هذا الاصطلاح الأخير، وعليه يكون حفظ هذه الأصول الخمسة، أو الكليات الخمس على ثلاثة مستويات: الأول مستوى الضرورات والثاني مستوى الحاجات والثالث مستوى التحسينات.

وعلى هذا يتبين مما اخترناه هنا أن مقاصد الشارع في خلقه تنحصر في حفظ تلك الأصول الخمسة، فكل مايتضمن حفظها، فهو مصلحة، وكل مايفوتها أو يفوت بعضها فهو مفسدة، وأن وسيلة حفظ تلك الأصول الخمسة تتدرج في ثلاث مراحل حسب أهميتها، وهي ما أطلق عليه علماء الأصول اسم الضروريات والحاجيات والتحسينات.

فالضروريات هي مالابد منه في حفظ الكليات الخمس، وأما الحاجيات فهي تلك التي قد تتحقق من دونها الكليات الخمس ولكن مع الضيق، وأما التحسينيات فإن تركها لايؤدي إلى الضيق ولكن مراعاتها متمشية مع مكارم الأخلاق ومحاسن العادات. ويمكن أن نتمثل ببعض التشريعات لما يحفظ تلك الكليات الخمس في المراتب الثلاث فيما يلي:

أولا: حفظ الكليات الخمس على مستوى الضرورات: فقد شرع لحفظ الدين من جانب الوجود الإيمان والنطق بالشهادتين وتوابعهما من بقية أركان الإسلام، وشرع لحفظه من جانب العدم الجهاد وتحريم الكفر وقتل المرتد. وشرع لفظ النفس من جانب الوجود إباحة أصل الطعام والشراب والمسكن مما يتوقف عليه بقاء الحياة، وشرع لحفظها من جانب العدم تحريم القتل وتشريع عقوبة الدية والقصاص. وشرع لحفظ العقل من جانب الوجود ماشرع لحفظ النفس من تناول الغذاء الذي يتوقف عليه بقاء الحياة والعقل، كما شرع لحفظه من جانب العدم حرمة المسكرات والعقوبة عليها وحرمة السحر والكهانة، وشرع لحفظ النسل من جانب الوجود النكاح وأحكام الحضانة والنفقات، كما شرع لحفظه من جانب العدم حرمة الزنى ووضع الحدود عليها وحرمة اللواط وتشديد العقوبة عليه، وشرع لحفظ المال من جانب الوجود أصل المعاملات المختلفة بين الناس، كما شرع لحفظه من جانب العدم تحريم العدوان على ملك الغير والعقوبة على ذلك.

ثانيا: حفظ الكليات الخمس على مستوى الحاجات: وقد شرعت عدة تشريعات لحفظ كل كلي من تلك الكليات على هذا المستوى، ففيما يتعلق بحفظ الدين من الوجود نجد تفصيل العبادات وتشريع الرخص فيها، وفيما يتعلق بحفظه من جانب العدم نجد منع الدعوة إلى الكفر ومنع الابتداع في الدين، وفيما يخص حفظ النفس من جانب الوجود شرع إباحة التوسع في التمتع بالطيبات بما زاد على أصل الغذاء، وفيما يخص حفظها من جانب العدم ثم تحريم جميع درجات وأنواع العدوان على الجسم وتم تشريع القصاص في الأعضاء، وفيما يتعلق بحفظ العقل من جانب الوجود نجد الأمر بالتعلم واستعمال الفكر، وفيما يتعلق بحفظه من جانب العدم تم التشنيع على الجهل وتعطيل العقول عن وظيفتها. وفيما يخص حفظ النسل من جانب الوجود تم تنظيم العلاقات الزوجية والعائلية وتم تشريع المهور والطلاق، وفيما يخص حفظه من جانب العدم تم تحريم مقدمات الزنى واللواط ومنع أسبابهما. وفيما يخص حفظ المال من جانب الوجود نجد الترخيص في بعض المعاملات والتوسع المشروع في التملك، وفيما يخص حفظه من جانب العدم تم تحريم المعاملات الفاسدة وأمر بالحجر على السفيه وتم تحريم التبذير.

ثالثا: حفظ الكليات الخمس على مستوى التحسينات: ومثالها فيما يتعلق بحفظ الدين نوافل العبادات وأحكام النجاسات والطهارات وستر العورة. ومثالها فيما يتعلق بحفظ النفس آداب الأكل والشراب ومجانبة ما استخبث من الطعام. وأما فيما يتعلق بحفظ العقل فيمكن التمثيل بما ذكر في حفظ النفس، ومثالها فيما يتعلق بحفظ النسل الكفاءة في اختيار الزوجين وآداب المعاشرة بينهما. ومثالها فيما يتعلق بحفظ المال المنع من بيع النجاسات وفضل الماء والكلأ.

وبعد هذا التوضيح نعود إلى بعض القواعد التي قعدها الشاطبي فيما يتعلق بتلك المقاصد في مستوياتها الثلاثة، حيث انطلق من أن الشارع جعل المصالح يكمل بعضها بعضا، وعلى هذا فإن كل تكملة لها. من حيث هي تكملة. شرط، وهو أن لا يعود اعتبارها على الأصل بالإبطال (الموافقات ج2ص13). وبهذا التقرير افتتح المسألة الثالثة من النوع الأول المتعلق بمقاصد وضع الشريعة ابتداء الذي نحن بصدده. ومن هذا المنطلق قرر الشاطبي في المسألة الرابعة خمسة قواعد: الأولى، أن الضروري أصل لما سواه من الحاجي والتحسيني. والثانية: أن اختلال الضروري يلزم منه اختلال الباقيين بإطلاق. والثالثة: أنه لايلزم من اختلال الباقيين اختلال الضروري. والرابعة: أنه قد يلزم من اختلال التحسيني بإطلاق أو الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه ما. والخامسة: أنه ينبغي المحافظة على الحاجي وعلى التحسيني لأجل الضروري (الموافقات ج2ص17.16).